



# عاشوراء البحرين

ويكيليكس السفارة الأمريكية

مرآة  
البصرة  
Bahrain  
Mirror



مرآة  
البحرين  
Mirror

إلى الشيخ عيسى قاسم

ما زال خطابك المتن

ورسائلهم هامسًا

«نحو 70 بالمائة من سكان البحرين مسلمون شيعة، والبحرين هي الدولة الوحيدة من بين دول مجلس التعاون الخليجي التي تسمح بإقامة احتفالات علنية واسعة النطاق بعاشوراء»

ويكيليكس، برقية رقم 05MANAMA347

«رجل الدين الشيعي الأبرز في البحرين، الشيخ عيسى قاسم أقسم في خطاب ألقاه في 29 يناير/كانون الثاني، بهذه المناسبة، إنه لن يقبل أبدا باضطهاد أي سني وإنه سيقاقل إلى جانب السنة لاستراجع حقوقهم المسروقة في أي مكان بالعالم»

ويكيليكس، برقية رقم 07MANAMA93

«أشار الخواجة إلى معركة الإمام الحسين ضد الخليفة الأموي يزيد في نداء مستتر بالكاد موجه إلى شيعة البحرين للوقوف في وجه الحكومة السنية. وأنهى خطابه بتهديد: لقد فقدوا أي فرصة بالسلام»

ويكيليكس، برقية رقم 09MANAMA22

## الفهرس

|    |                                                         |
|----|---------------------------------------------------------|
| 7  | تقديم                                                   |
| 9  | 01 صراع الصور والأعلام في 2005                          |
| 23 | 02 اللطم والإيقاع و«الحيدر» في مواكب العزاء بالمنامة    |
| 31 | 03 سلفيون سنة نَظّموا برامج مستغزّة في عاشوراء!         |
| 43 | 04 الرغبة في التعبير عن الهوية الشيعية إلى الحد الأقصى! |
| 53 | 05 خطبة الخوافة في عاشوراء 2009                         |
| 65 | 06 قصّة المبعوث الإيراني إلى المنامة وخطاب الشيخ قاسم   |
| 75 | 07 السفارة الأمريكية عن خطاب مشيمع                      |
| 83 | 08 لماذا تراقب السفارة الأمريكية عاشوراء البحرين؟       |



## تقديم

لعبت عاشوراء أدوارا سياسية مؤثرة في كل المحطات التاريخية للبحرين، ومنذ أواسط التسعينات «كان من المستغرب أن لا يُعْتَقَل ناشط سياسي واحد على الأقل على خلفية خطاب حماسي مناهض للحكومة في ذروة عاشوراء وشهر مُحَرَّم بأكمله» كما يلخص الباحث الأكاديمي جستن غينغلر.

ستثير عاشوراء البحرين جدلا في كل عام، وستكون دائما محل ترقّب، ليس فقط من أجهزة الدولة، بل من السفارة الأمريكية أيضا.

وبحسب برقيات ويكيليكس، فمنذ العام 2005 عملت السفارة الأمريكية في المنامة على جمع المعلومات عن عاشوراء سنويا للدراسة والتحليل من أجل تقديم صورة كاملة للإدارة الأمريكية، في شكل تقرير سري!

تعود هذه البرقيات التي سرّبتها ويكيليكس قبل أعوام، إلى الفترة بين 2005 و2010. كانت السفارة تراقب عاشوراء في البحرين بشكل دقيق، وتبعث بتقارير مفصلة عمّا يجري، بشكل روتيني. كم عدد من شارك؟ ماذا قال الشيخ عيسى قاسم، ماذا قال الشيخ علي سلمان، وكيف كان خطاب عاشوراء؟ كيف كانت الأوضاع الأمنية؟ هل كانت هناك انتهاكات، هل كان هناك تسييس، هل ورد اسم الولايات المتحدة الأمريكية في أي شيء؟ ماذا يزعج هؤلاء الناس، ماذا يغيظهم، وكيف يمكن أن يؤثر إحياء عاشوراء هذا العام عليهم؟

هو وجه من عملية جمع المعلومات، التي يمكن حتى أن تغفل عن رصدها الحكومة، وتتراخى في توثيقها المنظّمات المدنية.

لن تصل هذه البرقيات إلى الخارجية الأمريكية فقط، بل ستكون برسم القيادة الأمريكية المركزية في الخليج، وسترسل بالطبع إلى وكالات الاستخبارات، والمحللين، والباحثين.

ستضع السفارة في برقياتها كل تفاصيل عاشوراء الدقيقة، في سياقها الديني والاجتماعي والسياسي. طريقة القراءة البعيدة عن الانفعال لعاشوراء البحرين (حتى لو كان العلم الأمريكي فيها مرسوما على الأرض لتدوس عليه الأقدام)، تجعل من تقارير السفارة الأمريكية وثائق مهمة للتاريخ.

في العام 2008 زار السفير الأمريكي السابق آدم إيرلي بنفسه احتفالات ذكرى عاشوراء في المنامة عام 2008، يصحبه مسئولون في السفارة، ضمن ما قالت برقية إنها كانت «مهمة عمل» الهدف منها تعزيز التواصل مع المجتمع الشيعي في البحرين!

هناك فريق ترسله السفارة سنويا من موظفيها لمراقبة هذه الفعاليات ورصدها بدقة. وفضلا عن ذلك، تجري السفارة اتصالات بمعارفها من الشيعة للوقوف على معلومات أخرى.

عاشوراء بالنسبة للسياسة الأمريكية يذكر بالهامه العديد من الثورات وحركات المقاومة الشيعية في المنطقة، بدءا من إيران، وليس انتهاء بלבنان. منذ ذلك الوقت، والسياسة الأمريكية تسأل نفسها دائما، إلى أين يمكن أن ينتهي هذا الحماس الشيعي في عاشوراء في البحرين؟

تثبت هذه البرقيات أن عاشوراء، بالنسبة للسياسة الأمريكية، ترتبط بأمن الخليج، واستقرار أنظمة الحكم فيه، والأسطول الخامس، والجار الإيراني، والصورة الأمريكية في الذهن الشيعي.

بالتزامن مع إحياء ذكرى عاشوراء لعام 2015، بدأت «مرآة البحرين» استعراض هذه الوثائق الخطيرة، وهي تصدرها اليوم مجموعة في كتاب لأول مرة، وذلك لأغراض البحث والتقصي، وفهم وتحليل العمل الدبلوماسي الأمريكي في هذا السياق، ورؤيتهم لهذه المناسبة ومجرياتهما المختلفة كل عام، وتعاطي الحكومة البحرينية مع كل ذلك.



# 01

«ويكيليكس» السفارة الأمريكية وعاشوراء البحرين:  
صراع الصور والأعلام في 2005



في هذا الوقت، لا بد أن تكون السفارة الأمريكية منشغلة بكتابة تقريرها السنوي عن إحياء ذكرى عاشوراء في البحرين!

تواصل ويكيليكس كشف معلومات ربما أراد كل أطرافها أن تدفن بعيدا، وأن لا تظهر في التاريخ أبدا، مهما كانت الظروف. اتصالات وتصريحات ونقاشات وسباب وشتائم وزيارات ووعود، دون علم أحد، إلا الله، والسفارة الأمريكية! تبين برقيات سرّ بها موقع ويكيليكس، أن السفارة الأمريكية في المنامة، ترسل تقريرا سرّيا بشكل سنوي لوزارة الخارجية الأمريكية، عن مجريات إحياء ذكرى عاشوراء في البحرين!

تعود هذه البرقيات التي سرّتها ويكيليكس قبل أعوام، إلى الفترة بين 2005 و2010. كانت السفارة تراقب عاشوراء في البحرين بشكل دقيق، وتبعث بتقارير مفصلة عمّا يجري، بشكل روتيني. كم عدد من شارك؟ ماذا قال الشيخ عيسى قاسم، ماذا قال الشيخ علي سلمان، وكيف كان خطاب عاشوراء؟ كيف كانت الأوضاع الأمنية؟ هل كانت هناك انتهاكات، هل كان هناك تسييس، هل ورد اسم الولايات المتحدة الأمريكية في أي شيء؟ ماذا يزعج هؤلاء الناس، ماذا يغيظهم، وكيف يمكن أن يؤثر إحياء عاشوراء هذا العام عليهم؟



هو وجه من عملية جمع المعلومات، التي يمكن حتى أن تغفل عن رصدها الحكومة، وتتراخى في توثيقها المنظمات المدنية.

بالتزامن مع إحياء ذكرى عاشوراء لعام 2015، تستعرض «مرآة البحرين» هذه الوثائق الخطيرة، وتعرضها مترجمة لأول مرّة، وذلك لأغراض البحث والتقضي، وفهم وتحليل العمل الدبلوماسي الأمريكي في هذا السياق، ورؤيتهم لهذه المناسبة ومجرياتها المختلفة كل عام، وتعاطي الحكومة البحرينية مع متابعتهم، بل وتزويدهم بالمعلومات أيضا.

في هذا الجزء، سنستعرض قضية الأعلام السوداء، وصور القيادات الإيرانية، وقيادة حزب الله، التي رفعت بكثافة في موسم عاشوراء عام 2005، وخلقت منها حكومة البحرين أزمة كبيرة، استدعت على ما يبدو أن تجري فيها اتصالات مكثفة مع السفارة الأمريكية، التي تكتب عادة كل شيء، وتبعثه فوراً لوزارة الخارجية!



## برقية 1: محمد عبد الغفار يصف الشيخ عيسى قاسم بأنه عميل إيران ويخشى من تأثير حكومة العراق الشيعية

ميّز عاشوراء العام 2005 الحملة التي شنتها الحكومة على الاحتفالات، بحجة رفع صور وشعارات موالية للجمهورية الإسلامية في إيران. وقد أرسلت السفارة للخارجية الأمريكية في 28 فبراير/شباط 2005، تقريراً في هذا الصدد عن لقاء عقد بين السفير الأمريكي ووليام مونرو، ووزير الدولة لشئون الخارجية في حكومة البحرين، محمد عبد الغفار.

وكان الأخير قد أبلغ السفير الأمريكي قلق حكومته العميق مما سمّاه «تدخل إيران في شئون البحرين الداخلية»، الذي قال إنّه قد بلغ ذروته في احتفالات عاشوراء الأخيرة. وقالت البرقية إن الوزير أطلق أوصافاً قاسية على الشيخ علي سلمان، والشيخ عيسى قاسم، ووصف الأخير بأنه «عميل لإيران، يعتقد بأنها يجب أن تحكم كل دول الإقليم. إنه رجل خطير جداً».

واتهم الوزير إيران بـ«اختراق المجتمع الشيعي» في البحرين. وقال إن الكثير من احتفالات عاشوراء سُبِّست لصالح إيران، ضاربا بالشيخ علي سلمان والشيخ عيسى قاسم أمثلة على من يقوم بذلك. ورَّكز الوزير في ذكره مظاهر هذا التسييس على تعليق صور لمؤسس الجمهورية الإسلامية الإمام الخميني، والمرشد الإيراني السيد الخامنئي، وذلك بشكل أكبر حجما وأكثر عددا من المعتاد.

الوزير قال للسفير أيضا إن هناك «مخيّمات نصبت لتدريب الشبّان عقائديا» واصفا إيّاها بـ«الخطيرة جدا». وقال إن السلطات البحرين وجدت في هذه المخيمات شعارات حزب الله، وكذلك أعلام أمريكية وإسرائيلية ملقاة على الأرض ليدوسها الناس.

وقال عبد الغفار أيضا إنه قلق من أن حكومات شيعية في العراق وإيران يمكن أن تكون تطورا خطيرا على البحرين.

واعتبرت البرقية أن حكومة البحرين قلقة ومتخوّفة من التأثير المحتمل لنجاح الشيعة في العراق على البحرين، لكنها قالت أيضا إن هناك إشارات على أن «الانتخابات الناجحة» في العراق، تساعد على دفع الشيعة الذين قاطعوا الانتخابات في البحرين، إلى أن ينظروا بشكل جاد إلى المشاركة في انتخابات 2006»، معتبرة ذلك تطورا إيجابيا للحكومة.

## **برقية 2: محمد بن مبارك: الأيادي الإيرانية أكثر وضوحا في عاشوراء وخامنئي قائد سياسي وليس ديني**

في 8 مارس/آذار 2005، وبينما لا يزال الناس في موسم محرّم وصفر، أرسلت السفارة برقية عن لقاء (أو ربما اتصال) بين السفير الأمريكي ووزير الخارجية البحريني محمد بن مبارك آل خليفة، تحدّث فيه الأخير عن تداعيات قضية الصور والشعارات في عاشوراء!



بدوره، نقل محمد بن مبارك للسفير، تصريحات عن وزير الداخلية راشد بن عبد الله آل خليفة، عما سمّاه «التدخل الإيراني في احتفالات عاشوراء في البحرين»، كان قد أدلى بها إلى نواب في البرلمان.

وقال محمد بن مبارك إن «الأيادي الإيرانية كانت أكثر وضوحا بكثير خلال احتفالات عاشوراء هذا العام مما كانت عليه في السنوات السابقة» حسب قوله، ونقل للسفير بأن آية الله الشيخ عيسى قاسم ألقى خطابه الجماهيري محاطا بصور كبيرة للخميني وال خامنئي وأمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله، وأنه كان محاطا بحراسة شخصية.

وقال بن مبارك إن الشيعة في الماضي «كانوا يضعون الصور داخل مآتهم، لكنها هذا العام في كل مكان» وأضاف «الشيعة حاولوا تغطية البحرين بأعلام سوداء». السفارة علّقت على تصريحه بملاحظة قالت فيها (الكثير من الأعلام السود توضع في مواقع استفزازية بشكل متعمد، بما يشمل الشارع الذي يقع عليه أكبر مسجد سني في شمال غرب البلاد، بقرية سار).

السفارة قالت إن محمد بن مبارك ادّعى أن العديد من البحرينيين الشيعة جاءوا للحكومة يشتكون من التدخل الإيراني في احتفالاتهم. وقال «لقد احتجوا على فرض مبدأ ولاية الفقيه على البحرينيين، أو حكم الشريعة»، وأضاف «خامنئي ليس قائدا دينيا، إنه قائد سياسي. إنه القائد الأعلى للجيش الإيراني».

وزير الخارجية عبّر عن قلقه من أن «المتطرفين سيئون استخدام الحرية في البحرين»، وقال إن «الإيرانيين كانوا يستخدمون عملاء لتحريض الناس، أملين أن يخلقوا طابورا خامسا داخل البحرين»... «على الحكومة أن ترد الآن، قبل أن تصبح الأمور أسوأ. لقد واجهت البحرين تحديات مشابهة من قبل، من الشيوعيين والبعثيين».

الوزير حذّر من أن هذه الأنشطة قد تسمح للمتطرفين بتدبير أعمال إرهابية داخل البحرين، وقال إن مصادمات حصلت بين «السنة والشيعة في المحرق بسبب وضع الأعلام والرموز الدينية الأخرى في مواقع حساسة» وشكى محمد بن مبارك من محاولة مديري موقع «بحرين أون لاين»، الذين سجنوا مؤخرا، إثارة المشاكل.

### برقية 3: الحكومة لم تضع سياسة للتعامل مع التمكين الكامل المحتمل للطائفة الشيعية

في 9 مارس/آذار، أرسلت السفارة تقريرا آخر، عنوانته بـ «حكومة البحرين ترد على الشعارات الأجنبية في الأنشطة الشيعية خلال احتفالات عاشوراء»

التقرير قال إن الحكومة البحرينية أطلقت حملة بشكل علني وخاص، للتبرّم من «التدخل الإيراني». وأضاف أن وزير الداخلية قال علنا إن «بعض الأشخاص نشروا رسائل كراهية بشكل علني خلال إحياء ذكرى عاشوراء في فبراير الماضي بإطلاقهم هتافات وتعليقهم لافتات تشير الانقسام داخل المجتمع البحريني».





ولفت التقرير إلى أن البحرين هي الدولة الخليجية الوحيدة التي تسمح بخروج مواكب عاشوراء الدينية بشكل واسع علنا، وقال إن وسائل إحياء الذكرى المقدسة في البحرين تختلف باختلاف المدرسة الفكرية للمشاركين، مشيرا إلى أن عدد الذين «يقطعون أنفسهم» (يقصد المطهرين) هم أقلية صغيرة جدا في المجتمع الشيعي البحريني.

وقال التقرير إن المواكب الدينية تسمع للشيعية بدفع التعبير العام.

السفارة رأت أن حكومة البحرين قد تكون محقة بأن إيران تغذي النشاط في المجتمع الشيعي، ومع ذلك فإن «نجاح الشيعة المكتسح في انتخابات العراق، هو بلا شك مصدر آخر لتمكن الشيعة وثقة الجمهور بنفسه» حسب وصفها.

وقال التقرير إن حكومة البحرين تشجّع على مشاركة كل قطاعات المجتمع في العملية السياسية، لكنها قد لا تكون مستعدة و«لم تضع بعد سياسة للتعامل مع التمكين الكامل والنجاح السياسي المحتمل للطائفة الشيعية»

وهي ليست مرتاحة «للتعامل مع جماهير شيعية تزداد جرأة وثقة بنفسها أكثر فأكثر».

ورأت السفارة أن الحكومة قد تتخذ إجراءات تضع فيها حدا توقف عنده هذا «النهوض الشيعي».

انتقل التقرير بعدها إلى تفصيل الإجراءات التي اتخذها رئيس الوزراء خليفة بن سلمان آل خليفة، والتي تعكس صدى غضب الحكومة البحرينية مما حدث في عاشوراء.

ثم انتقل إلى وصف شامل ودقيق لمراسم إحياء ذكرى عاشوراء، وخلفياتها الدينية والتاريخية، وذلك بحسب فهمها\*

#### **برقية 4: بين وزير الداخلية والسيد عبد الله الغريفي: قلم وعلم**

في 20 مارس/آذار، ناقش وزير الداخلية البحريني راشد بن عبد الله آل خليفة، أحداث عاشوراء ذاتها، مع السفير الأمريكي ويليام مونرو، وأرسلت السفارة تقريراً عن هذا النقاش في برقية لوزارة الخارجية الأمريكية.

الوزير عرض للسفير صوراً من إحياء عاشوراء، من بينها صورة لدوس العلم الأمريكي، واعتبر أن الهامش السياسي لأنشطة عاشوراء كان أكبر هذا العام (لكن السفارة وضعت ملاحظة قالت فيها إن المنخرطين في هذه الأنشطة هم أقلية في المجتمع الشيعي).

الوزير وصف للسفير الأمريكي قلق الحكومة من نمو الانقسام بين السنة والشيعية في البحرين «إذا لم يتخذ إجراء حاسم ضد النشاط السياسي الشيعي خلال احتفالات عاشوراء الأخيرة»، كما استعرض معه جهوده في ضبط «التطرف الشيعي» حسب وصفه.



التقرير تحدّث عن لقاء وزير الداخلية شخصيا مع أحد كبار علماء الدين في البحرين، السيد عبد الله الغريفي، في محاولة لكسب تأييده، حسب تعبیر السفارة. من جانبه، طلب الغريفي من وزير الداخلية السيطرة على المقالات والافتتاحيات المناهضة للشيعية في الصحف.

التقى وزير الداخلية أيضا (بحسب ما نقل التقرير) بمجموعة من السنّة الذين قالوا إنهم قلقون من بروز الأعلام السوداء في كل مكان بشكل مفاجئ (وقد وضعت السفارة ملاحظة توضيحية قالت إن الأعلام السوداء تمثل حداد الشيعة في عاشوراء)، وقال الوزير «يظهر بأن بعض الشيعة كان يستخدمون عاشوراء كفرصة سياسية»، وأضاف «السنّة ينتظرون من الحكومة أن تفعل شيئا ما، وإلا فإنهم سيقومون بذلك بأنفسهم». لكن الوزير قال إنه قضى أمسيات عديدة في مجالس الحد يحاول تهدئة العواطف، وأن يتيقن من عدم اتخاذ أي ردات فعل ضد الشيعة، حسب قوله.

وفي موقف غريب، نقلت البرقية أن وزير الداخلية قال للسفير إن «البحرين

لا ترغب أن تحذو حذو المملكة العربية السعودية التي انتظرت طويلا قبل أن ترد بشكل حاسم ضد المتطرفين السنّة. وإذا انتظرت الحكومة طويلا، سيكون هناك رد فعل سني من السنّة ضد الشيعة. الاستراتيجية الأفضل، هي أن يقوم قيادات الشيعة باحتواء المشكلة بأنفسهم». الوزير زعم أيضا إن وزارته كانت تبذل جهدا لجلب المزيد من الشيعة في قوات الأمن.

السفارة قالت إن وزير الداخلية يلعب دورا بارزا في تعامل الحكومة مع هذه القضية، وأنه ذهب في هذا الصدد إلى التشاور مع رؤساء المآتم، كما تواصل مع السيد عبد الله الغريفي، الذي وصفه بأنه كان إيجابيا ومتفهما لما تحاول أن تقوم به الحكومة. قال الوزير إن الغريفي قدّر زيارته، وإنه فخور بأنه بحريني، وهو يؤمن بأن الوحدة مهمة، لكنّه عبّر عن قلقه من أن الحكومة تركت القصة تكبر كثيرا في الصحف. السفارة نقلت بأن وزير الداخلية، ورغم أنه قال للغريفي إنه لا يستطيع التحكّم في الصحافة، لكنّه قال «إنّها مسألة علّم وقلم»، مشيرة إلى أنه لعب على الطباق الناقص بين الكلمتين لغويا! الوزير قال للغريفي «إذا قمتم برفع أعلام حزب الله، سترفع الأعلام. إذا أردتم أن تتوقف الأعلام، أنزلوا الأعلام».

بعدها نقل التقرير مقتطفات نشرتها الصحف من حديث للسيد الغريفي ألقاه في 18 مارس/آذار ليلة الجمعة بمسجد الإمام الصادق بالقفول، وقد تحدّث فيها عن الوحدة والأمن والاستقرار وكونها خطوطا حمراء، وعن رفضه أي سلوك يضر بهذه المبادئ.

الغريفي حدّر أيضا من الأعلام التي تستغل الأحداث لإثارة العداوة بين الناس، وتحريض النظام ضد طائفة رئيسية موالية في المجتمع، داعيا الحكومة إلى إسكات هذه الأعلام ومحذرا من كارثة في حال استمرارها. وقال الغريفي

إن وزير الداخلية دعاه لزيارته، وإن موافقته ستعتمد على مقدار التغيير الذي يراه على الأرض.

تقول السفارة إن وزير الداخلية اعتبر المشكلة يمكن حلها والسيطرة عليها «هناك متطرفون من الجانبين، وهم يحتاجون لأن يضبطوا من كلا الجانبين».

السفير، وبحسب البرقية، سأل وزير الداخلية عن ممارسات التوظيف في وزارة الداخلية، مشيراً إلى أنه سمع شكاوى من انتقاص تمثيل الشيعة فيها، ورد الوزير بأن قوات الأمن تحاول الآن بأن تضرب مثالا على التوظيف من كل الجانبين، وادّعى بأن 39 من أصل 40 من الصف الجديد من ضباط الشرطة كانوا شيعة. وأشار أيضاً إلى الإعلان عن توظيف شرطة المجتمع، وقال إن أعدادا كبيرة من الشيعة تقدّمت، متوقّعة بأنها لن تقبل في الوظائف، ولكن من باب إحراج الحكومة من جهة البطالة.

الوزير قال «حين وظف عدة منهم فعلا، رجعوا إلى قراهم وهم يشكون بأنهم الآن عالقون لأنهم حصلوا على وظائف لم يكونوا يريدونها في شرطة المجتمع».

## برقية 5: الإعلام الحمراء والبيضاء تظهر في مسيرة الإصلاح الدستوري

في 28 مارس/آذار 2005، أبرقت السفارة للخارجية الأمريكية بتقرير عن مسيرة الإصلاح الدستوري، التي خرجت في 25 مارس/آذار. وقالت السفارة إن زعيم جمعية الوفاق تحدى وزارة الداخلية وقاد مجموعة قدّرتها بين 20-30 ألف شخص، في مظاهرة سلمية للمطالبة بالإصلاح الدستوري.

وجاءت هذه التظاهرة، في ذات الفترة التي شهدت أزمة (الصور والأعلام)، وفي نهاية موسم محرم وصفر ذلك العام. في هذا السياق، قال التقرير، في فقرة عنونها بـ(الأحمر والأبيض ألوان اليوم)، إن الشيخ علي سلمان حث المشاركين



قبل الاحتجاج، على الامتناع عن حمل أي أعلام أو صور أو شعارات أجنبية، وذلك في «استجابة لتحذيرات الحكومة العلنية عن صور وأعلام عاشوراء» حسبما جاء في تقرير السفارة.

وقال التقرير إن اللونين الأحمر والأبيض غطيا التظاهرة بشكل بارز.

## 02

«ويكيليكس»: تقرير السفارة الأمريكية

عن اللطم والإيقاع و«الحيدر» في مواكب العزاء بالمنامة





خلال أزمة الصور والأعلام في 2005، وجدت السفارة الأمريكية في المنامة نفسها مضطرة لفهم المزيد عن ذكرى عاشوراء، وطريقة إحيائها في البحرين، وعليه قامت ببحثها، وخرجت بتقرير مدهش، في ظرف أيام.

يعد هذا التقرير<sup>1</sup> - الذي أرسل هو الآخر في برقية للخارجية الأمريكية بتاريخ 9 مارس/آذار 2005 - واحدا من أهم الوثائق الرسمية، التي تظهر مدى اطلاع الدبلوماسية الأمريكية على معاني ذكرى عاشوراء وأبعادها الثقافية والسوسولوجية، وعلى طقوس ومراسم إحيائها في البحرين على وجه الخصوص، وكل التفاصيل المحيطة بها، بما فيها التفاصيل الدينية، والعقائدية.

تقدّم البرقية خلفية عن الأساس الديني والتاريخي للمناسبة، وعن اختلاف الشيعة في إحيائها بحسب مراجعهم الدينية. يقدّم التقرير رسدا مفصّلا لمظاهر عاشوراء (في البحرين على وجه الخصوص)، ووصفا شاملا ودقيقا إلى حد ما للمراسم الدينية، بدءا من حضور المآتم، اللطم، الحيدر، وحتى مواكب العزاء التقليدية، وتلك الحديثة، التي تستخدم آلات موسيقية

---

البرقية رقم: 05MANAMA347\_a - التصنيف: سري

ربّما تكون هذه البرقية أشمل وصف توثيقي غربي صدر عن هذه المراسم الدينية، وهي بلا شك تفتح أسئلة كثيرة عن سبب اهتمام السفارة بهذه التفاصيل، وكيف تنعكس على موافقها، آرائها، وفهمها للطائفة الشيعية، وللأحداث السياسية والاجتماعية بالبلاد. وعليه قامت «مرآة البحرين» بترجمتها حرفيا.

### تقاليد إحياء ذكرى عاشوراء قديمة العهد

3. أيام الاحتفال بعاشوراء لدى الشيعة، التي يتم فيها إحياء ذكرى مقتل حفيد النبي الإمام الحسين في كربلاء، تمتد طيلة الأيام العشرة الأولى من شهر محرم بالتقويم الإسلامي. وتصل الاحتفالات إلى ذروتها في التاسع والعاشر من محرم، اللذين يصادفان في 18 و19 فبراير/شباط من العام الحالي. نحو 70 بالمائة من سكان البحرين مسلمون شيعة، والبحرين هي الدولة الوحيدة من بين دول مجلس التعاون الخليجي التي تسمح بإقامة احتفالات علنية واسعة النطاق بعاشوراء. شيعة البحرين فخورون بوضعهم الفريد في المنطقة: أحد معارفنا تفاخر بأن الشيعة حافظوا على هذه التقاليد لقرون قبل مجيء أسرة آل خليفة (السنية) الحاكمة إلى الجزيرة.

4. تشتهر عاشوراء على الأغلب بمسيرات يمشي فيها المؤمنون في مواكب يغطيها الدّم الناتج عن ضرب النفس بالسّيوف وجرح الرؤوس والظهور بالسكاكين (ما يسمى بـ«الحيدر» باللغة العربية)، وهو يرمز إلى معاناة الحسين. وفي حين كان هذا المشهد البارز والرهيب ظاهراً في وسط المنامة، بالتحديد في صبيحة العاشر من محرم (19 فبراير/شباط)، أشار البحرينيون الشيعة إلى أن احتفالات عاشوراء تحمل في طياتها أكثر من إسالة الدماء. إنهم يلفتون إلى أنه في هذا العام تحديداً، نظمت التجمعات الشيعية (المآتم) في كل من العاصمة والمدن الأصغر منها والقرى، محاضرات منتظمة حول الأحداث والشخصيات المحيطة بعاشوراء، و«مسرحيات



عاطفية» تصف معاناة الحسين، وتبرعات بالدم لدعم المستشفيات المحلية، ومجسمات ورقية تشير إلى شهادة الحسين، على غرار مجسمات ولادة السيد المسيح. وفي مساحة شاغرة، على جانب الشارع الذي يقع عليه مستشفى الإرسالية الأمريكية المعروف، وسط المنامة، يقدم علماء دين شيعة، من بينهم واحد على الأقل ذو أصل إيراني، محاضرات بلغة إنجليزية جيدة، للأجانب المهتمين.

### نماذج مختلفة من المشاركين في طقوس المواكب

5. على الرغم من كونها أقل دموية، فإن مواكب عاشوراء في ليل التاسع من محرم، 18 فبراير/شباط، كانت لافتة من حيث الحجم والتنوع والحماسة الدينية. وباستثناء مجموعة من حوالي عشرة شبان ضربوا ظهورهم بالسيف والسكاكين، لم يجرح الآلاف الذين شاركوا في المسيرة أنفسهم. وقد مشت معظم المجموعات، التي نظمها المآتم، في صفوف (مؤلفة من الرجال فقط) ترافقهم أحصنة من دون ركاب، وخطباء يلقون أناشيد عبر أنظمة صوتية محمولة، وطبول ويافطات، والنعش الرمزي الخاص بالمناسبة.



إحدى المجموعات رافقتها فرقة يرتدي أعضاؤها زياً موحداً من الساتان الأسود مع أوشحة ذهبية، تشابه مشهد موكب جنائزي على موسيقى الجاز «ديكسيلاند» في مدينة نيو أورليانز الأمريكية.

6. تعرف (تسمى) المآتم من خلال موقعها في منطقة ما من البحرين، أو من خلال الأصل العرقي لأعضائها. هناك مآتم للشيعية من أصول بحرينية، الذين يدعون بـ «البحارنة»، ولذوي الأصول الفارسية الذين يحظون بجنسيات بحرينية، ويدعون بـ «العجم» (بعض هذه العائلات موجودة في البحرين على مدى أجيال لكنها تُعتبر فارسية)، وللعمال الوافدين من شبه القارة، ومعظمهم باكستانيون، وللسعوديين من المنطقة الشرقية الذين يستطيعون ممارسة شعائهم الدينية في ظل حرية نسبية. وتؤدي كل من هذه المجموعات نمطاً خاصاً من جلد الذات في انسجام تام. ويضرب عدد منهم صدورهم بأيديهم اليمنى برفق، ويؤدي آخرون حركات إيقاعية معقدة، مشابهة للرقص، تنتهي بضربة عنيفة على صدورهم بكلا اليدين، فيما تضرب مجموعات أخرى بعنف ظهورها بسلاسل مجدونة، متصلة بمقابض

خشبية. هناك مستوى معين من «اللهو»، والمزايدة المراهقة في الحماس الذي يظهره بعض المؤمنين. أفراد مجموعات صغيرة، مكونة من إخوة وأقارب وأصدقاء مقربين، على ما يبدو، يحثون بعضهم البعض على إظهار المزيد من الحماسة في الصّراخ والدّعاء واللطم.

7. تصطف على طريق الموكب أكشاك أنشأتها المآتم، يتم فيها توزيع المشروبات الساخنة والباردة والأطعمة المجانية لكل الحضور، بمن في ذلك موظفي السفارة (الذين كان من الواضح أنهم غير بحرينيين). المتطوعون في الأكشاك يبذلون أقصى جهودهم لجعل الأجانب يشعرون بأنهم مرحب بهم، ويقدمون شخصيًا الطعام والشراب إلى أولئك الواقفين مباشرة أمامهم. كما أنهم يتقدمون باتجاه الموكب لمسافات قصيرة لتزويدهم بالمربطات، تمامًا كما يفعل المتفرجون عند تقديم المشروبات إلى المتسابقين في الماراثون. يشاهد كثير من النساء والأطفال الموكب من جوانب الطرقات أو من التوافذ، في إضافة إلى الأجواء التي تبدو كرنفالية تقريبًا.

### عرض علني لصور علماء الشيعة

8. تنتشر عدة صور، بما في ذلك صور كبيرة جدا للخميني وال خامنئي، على طول طريق الموكب في قلب المنامة. ويوجد على الجدران ملصقات تحمل صور الإيرانيين الاثنين وأيضًا أمين عام حزب الله نصر الله. وعلى الرغم من أن موظفي السفارة لم يروا أي أعلام لحزب الله، غير أن متفرجين آخرين رأوا ذلك. وجاءت بعض الملصقات كاحتجاج على المادة الـ 56 من دستور البحرين 2002\*\*\*، الذي يمنح عفوًا عامًا لمجموعة، بينهم عناصر من قوات الأمن، يتهمهم الشيعة بتعذيب وقتل معتقلين خلال صراع منتصف التسعينات. وتظهر هذه الملصقات صور أجساد القتلى في الاشتباكات مع قوات الأمن وأثناء الاعتقال. وحمل عدد قليل من المشاركين في الموكب شارات كتب عليها «الموت لأمريكا» و«الموت لإسرائيل» بالفارسية.

## الشَّيرازيون في أقصى الحدود

9. وفقًا لمصادر شيعية، فإن الطُّرق المختلفة في إحياء ذكرى عاشوراء تعكس مدارس عقائدية مختلفة في المجتمع الشَّيعي. يتبع البحرينيون الشَّيعة اتجاهات مختلفة داخل الطائفة الشَّيعية، بما في ذلك اتجاهات الخميني والخامني والخوانساري وفضل الله والسيستاني والشَّيرازي. في أواخر الثمانينيات، أصدر الخميني فتوى مفادها أن ضرب الحيدر وإسالة الدماء «حرام» أو غير مقبول شرعًا. وأوصى بأن يتبرع الشَّيعة بدمائهم بدلًا من ذلك. وما تزال أغلبية شيعة البحرين تتبع تعليماته. غير أنه، وبعد سنتين فقط، عارض ذلك آية الله محمد الشَّيرازي (المتوفى حاليًا)، زعيم الحركة الشَّيرازية الأكثر تطرفًا، وأفتى بأن ضرب الحيدر هو أمر مقبول دينيًا. وتزامنت فتواه مع الانفتاح السياسي الأكبر في البحرين، الذي أدت إليه سياسات الملك في الإصلاح، وسرعان ما عاود مؤيدو الفلسفة الشَّيرازية استئناف هذه الممارسة الدُموية، التي ينظر إليها عدد من الشَّيعة غير الشَّيرازيين بعين الاشمئزاز.

10. ماتم القصاب في وسط المنامة هو مركز الشَّيرازيين في البحرين. وتديره أسرة آل العلوي. وينتمي إلى هذه الأسرة وزير العمل والمعارض المنفي السابق مجيد العلوي، ولكن علاقته غير وثيقة بفرع الأسرة المسؤول عن ماتم القصاب. وتقول مصادرنا إن كل الرجال الذين يضربون الحيدر في مواكب عاشوراء هم أعضاء في هذا المأتم. وقد زعم أحد المصادر أن عددًا من السَّعوديين الشَّيعة الذين يأتون إلى البحرين خلال الاحتفالات هم أعضاء في الحركة الشَّيرازية ويجرحون أنفسهم أيضًا في المواكب الدينية.

## 03

ويكيليكس 2006... فريد المفتاح للسفير الأمريكي:  
سلفيون سنة نضموا برامج مستفزة في عاشوراء!





بدءاً من 2005، سيصبح تقرير السفارة الأمريكية في المنامة عن إحياء ذكرى عاشوراء، تقريراً روتينياً، حتى لو كانت المناسبة خالية من الأحداث المثيرة، وحتى لو لم يكن لها أية تداعيات على الأرض. ستصبح عاشوراء في البحرين حدثاً في حد ذاتها، ينبغي أن تراقب، وترصد، وترفع عنها التقارير.

في 2006، وردت برقيتان ذكرت فيهما المناسبة، الأولى هي التقرير السنوي الذي سيصبح تقليداً، والثانية هي تقرير عن اجتماع مثير عقد بين وكيل وزارة الشؤون الإسلامية فريد المفتاح، والسفير الأمريكي ويليام مونرو، لإطلاع الأخير على جهود الوزارة خصوصاً في التقريب بين السنّة والشيعّة، بما فيها تلك الجهود المبذولة خلال مناسبة عاشوراء!

عاشوراء 2006 كان أكثر هدوءاً من سابقه، وأكثر ما تحدّث عنه تقرير السفارة فيه هو خلوّه من التوتّرات ومظاهر العنف، فضلاً عن قيام مجموعات شيعية بضبط الأمن والحماية بنفسها في منطقة المواكب بالمنامة، التي خلت من أجهزة الأمن الرسمية تماماً «لمدة 10 أيام كل عام، نحن نسيطر على المنطقة. الحكومة تسيطر عليها في الأيام الـ 355 الأخرى من السنة»، تنقل السفارة عن أحد معارفها.

في برقية السفارة الأمريكية أيضاً، تقرير عن أنشطة حركة حق خلال



عاشوراء، وتقرير عن الجدل الذي أثارته الالفة التي تحمل كلمة الشيخ عيسى قاسم عن «معسكر الحسين ومعسكر يزيد»، وكذلك وصف بصياغة أخرى لطقوس ومظاهر المناسبة الدينية، التي قالت إنها شبيهة بما يجري في أعياد الكرسمس، فضلا عن إشارة إلى الأجواء السياسية التي كانت تحيط بالحدث، وعلى رأسها اعتقال مجموعة شبّان من مطار البحرين الدولي بعد اعتصامهم احتجاجا على اعتقال الشيخ محمد سند.

وقد قدّرت السفارة المشاركين في احتفالات عاشوراء عام 2006 بـ 150 ألف شخص، بعضهم من السعودية والكويت.

### عاشوراء 2006

في فبراير/شباط 2006، أرسل السفير الأمريكي بالمنامة ويليام مونرو، تقريره الذي سيكون بدءا من 2005 سنويا، عن إحياء ذكرى عاشوراء في البحرين.

بدأ التقرير بذكر عدد الذين شاركوا في مواكب عاشوراء الدينية في مدينة المنامة القديمة، وقد قدّره السفير بـ 150 ألف شخص. ونقل التقرير عن



جميع الشهود، مِن فيهم موظفو السفارة الذين حضروا الاحتفالات، أن الحدث مضى على نحو سلس جدا، بلا تقارير عن مواجهات أو عنف.

وبصياغة أخرى، ذهب التقرير ليصف طقوس عاشوراء مجددا «مجموعات كبيرة أغلبها شبّان أعدادهم بالآلاف أحيانا، يسيرون في انسجام في دائرة طولها عدة كيلومترات، بينما يضربون صدورهم بأيديهم بشكل متناغم، أو يضربون ظهورهم بسلاسل».

ويضيف «تنظّم المجموعات عن طريق العديد من الصالات الشيعية الدينية/ الاجتماعية في المنطقة، والتي تدعى المآتم».

وعرّج التقرير على ذكر الأنشطة الأخرى في عاشوراء تحت عنوان «أشياء لكل الناس خلال عاشوراء»، وقد تحدّثت الفقرة عن المضاف، وعن المرسوم الحسيني، وحملات التبرع بالدم، ومخيم التوعية للجيلات الأجنبية الذي يعطي محاضرات بالإنجليزية عن عاشوراء، وكذلك مسرحيات عن معركة كربلاء.

«هناك الكثير من العروض المشابهة لمشاهد عيد الكرسمس، تنتشر على مدار المنطقة، تصوّر جانباً من القصة، بعضها يطل بشكل مريع في التفاصيل التي تلفتها».

لم يغفل التقرير أيضاً ذكر موكب العزاء الذي تتقدمه فرقة موسيقية.

ووضع التقرير اقتباساً من تصريح رئيس لجنة الموكب الحسينية، حسين العلوي، مشيراً إلى مشاركة كويتيين وسعوديين في احتفالات البحرين بعاشوراء.

### الأعلام والصور في 2006

وعطفاً على أزمة الأعلام والصور في 2005، يشير التقرير إلى أن موظفي السفارة لم يلاحظوا أحداً من المشاركين حمل ملصقات أو أعلام أو صور لقادة أجانب، مثل آية الله الخميني، وال خامنئي، وأمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله، لكنهم رأوا لافتة كبيرة ثابتة عليها صورة عالم الدين البحريني الشيعي البارز الشيخ عيسى قاسم، إلى جانبه نصر الله «كما نصبت بعض المآتم شاشات تلفزيون على الشارع، تبث خطابات واحتفالات بينها لنصر الله».

«وعلقت على الجدران منشورات فيها صور لآية الله السيستاني، وعبارات طبيعتها دينية بالكامل».

### غياب رجال الأمن وسيطرة الشيعة على وسط المنامة

ولاحظ موظفو السفارة الذين حضروا المناسبة كمراقبين، بأنه لم يكن هناك حضور أمني بزي رسمي في المنطقة، سوى لرجال المرور، في حين كان هناك متطوعون مرتبطون بالمآتم، يلبسون شارات ويحملون أجهزة اتصال لاسلكية، منتشرون في منطقة الموكب، وينخرطون بشكل نشط مع الحاضرين لتزويدهم بالمعلومات والمساعدة إذا احتاجوها.

السفارة نقلت عن أحد معارفها قوله بأن عاشوراء هي فترة يحظى فيها

الشيعة بحريات ضخمة «لمدة عشرة أيام كل عام، نحن نسيطر على المنطقة. الحكومة تسيطر عليها في الأيام الـ 355 الأخرى من السنة».

### الأجواء السياسية في عاشوراء 2006

ورد في التقرير أيضا، الأجواء السياسية المرافقة للذكرى، وهي الحكم بإدانة 12 شابا شيعيا شاركوا في احتجاجات بمطار البحرين الدولي، بعد اعتقال رجل الدين المعروف الشيخ محمد سند من هناك، (ديسمبر/كانون الأول 2005)، وأشار التقرير إلى أن الأحكام أثارت غضب المجتمع الشيعي، وكانت موضوعا للنقاش خلال أيام عاشوراء.

«لاحظ موظفو السفارة حشدا من 500 شخص يستمعون لمحدث يشجب ويستنكر قيام الحكومة بإدانة هؤلاء. ورغم التوتر، لم يكن هناك عنف أو صدامات».

«المشهد الأكثر إزعاجا هو مجموعة من 20 شابا يلبسون عصابات، وأقمصة، وسراويل تمويه، بهيئة عسكرية، يركضون ببطء في انسجام، ويهتفون الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، الموت للدغارك... وفي تطور فريد من نوعه في حدث 2006، مشى المشاركون في المواكب الدينية على 10-20 لوحة حفرت على الطرق ورسم عليها العلم الدماركي. هذا بالإضافة إلى مجموعة من اللوحات رسم عليها ألوان العلمين الأمريكي والإسرائيلي».

وأشارت البرقية أيضا إلى اجتماع وزير الداخلية برئيس هيئة المواكب الحسينية، حسين العلوي، وعضو مجلس الشورى فؤاد حاجي، والنائب عيسى بن رجب، لمراجعة الجانب الأمني للمناسبة. وفتت البرقية إلى أن الاجتماع حدث في ذات الوقت الذي اتهم فيه قادة المجتمع في قرى شيعية، الشرطة، بنزع أعلام سوداء غطت مناطق شيعية بمناسبة عاشوراء، الأمر الذي احتج عليه أيضا أعضاء في مجلس بلدي الشمالية.



### نشاط حركة حق: عريضة الأمم المتحدة

أوردت البرقية أيضا فقرة عن نشاط حركة حق في عاشوراء (وهو النشاط الأول لها حيث تأسست في العام 2005):

«حركة حق (يمين)، مجموعة متشددة منشقة عن جمعية الوفاق الشيعية المعارضة، أصدرت بيانا صحفيا في 6 فبراير/شباط تعلن فيه عن عريضة ستقدم إلى الأمم المتحدة للدعوة إلى دستور ديمقراطي جديد يصاغ من قبل مجلس منتخب. دأمو العريضة وضعوا طاولات وأكشاك في أقسام عدة من وسط المدينة، وعرضوا فيديو عن فقر الشيعة في البحرين في المحيط الخارجي لأكبر مآتم. المنظمون أعلنوا أن هدفهم هو الحصول على 100 ألف توقيع على العريضة خلال عاشوراء، أي في الغالب 25% من مواطني البحرين. حتى اليوم، لم يعلن عن عدد الموقعين، ولكن مصادر مطلعة قالت إن المجموعة وصلت إلى هدفها على الأرجح».



### لافتة الشيخ عيسى قاسم: معسكر الحسين ومعسكر يزيد

توثق البرقية واحدة من أهم الأحداث في عاشوراء، وهي حادثة اللافتة التي نشرتها جمعية التوعية الإسلامية، وتحوي كلمة قديمة للشيخ عيسى قاسم، أثار عليها جهات موالية للنظام جدلاً واسعاً، أدّى في النهاية لإزالتها من قبل السلطات، ولشن حملة معادية للشيخ قاسم وجمعية التوعية في الصحف، وعلى ألسن المسؤولين.

«الجدل الأكبر انفجر بعد أكثر من أسبوع من نهاية عاشوراء» تصف البرقية.

تشير البرقية في البداية إلى أن إثارة الجدل على اللافتة بدأ من صحيفة الوطن «التي يقال إنها على صلة بالمجتمع السلفي السني في البلاد»، حيث نشرت خبراً في 18 فبراير/شباط تهاجم فيه العبارة التي وردت على اللافتة.

«تقول عبارة الشيخ عيسى قاسم، بأسلوب موار - غير مباشر-، إن البحرين تنقسم إلى معسكرين، معسكر الحسين ومعسكر يزيد (الذي قتله جيشه الحسين وأتباعه في كربلاء)» بحسب البرقية.

تعلق البرقية «في حين تقول تفسيرات متسامحة للعبارة بأن قاسم كان يقصد الفروق بين المسلمين الصالحين، المتقين، الواعين، والمسلمين الساقطين، إلا أن

الغالبية فهمت بأنه يقصد بأن الشيعة هم معسكر الحسين، والسنة هم معسكر يزيد».

تذهب البرقية بعدئذ إلى سرد تداعيات القضية، مشيرة إلى دخول مسئولين كبار في الدولة، وأعضاء في البرلمان، وكتاب مقالات، في هذا الجدل بعمق. ولفتت إلى أن مجلس الوزراء «أدان اللافتات والشعارات التي تهدد الوحدة الوطنية، وقال إنها إساءة استخدام للديمقراطية والحرية»، كما وضعت تصريحاً في السياق ذاته عن رئيس الوزراء انتقد فيه «اللافتات المثيرة للعداء».

أما رئيس مجلس النواب وقتها، خليفة الظهراني، فقد أدان اللافتة، بحضور رئيس الوزراء، وقال إنها بالون لاختبار الحدود المسموحة للخطاب المقبول، بينما هدّدت وزيرة التنمية وقتها فاطمة البلوشي، باتخاذ إجراءات ضد جميعة التوعية، في حين طالب النائب السلفي جاسم السعيد بإزالة جميع اللافتات التي تسبب الانقسام في المجتمع البحريني.

تعرّج البرقية بعدها على مقال الصحافية الموالية للنظام، سوسن الشاعر، ومقالات كتاب آخرين، انتقدوا فيها ما أسموه «تسييس الدين بهدف الإضرار بالوحدة الوطنية»، ثم تورد البرقية ما قاله منصور الجمري، رئيس تحرير صحيفة الوسط، من أن الشعارات التي تبعث برسائل مشوّشة يجب أن لا تعلّق لتلافي أي صدامات، حتى لو كانت جمعيات دينية أخرى، قد وضعت في السابق لافتات دينية سياسية ترهب الطرف الآخر.

### تعليق السفارة الختامي على التقرير

«بالنظر إلى خلفية المصادمات المتقطعة بين الشرطة وشبان شيعة منذ أواخر نوفمبر/تشرين الثاني 2005، أحيث عاشوراء بخلو مميز من التوتّرات أو العنف. نائب برلماني شيعي أكّد لموظفي السفارة أنه لن يكون هناك عنف خلال الحدث، قائلاً إن «الشيعة يريدون أن يظهروا للحكومة وكل





البحرينيين بأنهم يستطيعون حماية أنفسهم حين يعطوا الفرصة». الآن وقد انتهت عاشوراء، وعادت أجهزة الأمن البحرينية لفرض سيطرتها على الشوارع مجدداً، فإن هؤلاء الذين يسعون إلى إثارة المواجهات، لا يشعرون بالعوامل النبيلة التي كانت تضغط عليهم ليتصرفوا كما فعلوا خلال أيام الذكرى. وفي حين كان المشهد هادئاً في الغالب منذ نهاية عاشوراء، إلا أن الجو المشحون قد يعود حين ينزل مؤيدو الشبان الـ 19 المعتقلين إلى الشوارع، وحين يقترب وقت الانتخابات التشريعية والبلدية».

2006: وكيل وزارة الشؤون الإسلامية: الحسين لكل المسلمين، وهو يوحدهم ضد التحديات العالمية

وثقت برقية أخرى أرسلت بتاريخ 19 فبراير/شباط 2006، اجتماعاً جرى بين وكيل وزارة الشؤون الإسلامية الدكتور فريد المفتاح، والسفير الأمريكي ويليام مونرو، في 7 فبراير/شباط 2006.

وخلال الاجتماع، قال المفتاح للسفير إن وزارته تحاول أن تنشر الوعي بين السنة

والشيعة قبيل مناسبة عاشوراء «رتّبت الوزارة ظهوراً مشتركاً لعلماء شيعة وسنة على برامج تلفزيون البحرين، لمناقشة التعايش، التسامع، التفهّم، والاحترام لثقافات الآخرين».

المفتاح قال للسفير إن معظم الجماهير تقبلوا هذه الرسائل، لكنّه قال إن «بعض السنّة قالوا إن عاشوراء ليست يوماً مقدّساً لديهم، وعليه فإنّهم لا يستطيعون أن يخطبوا عنها»، وقد كان ردّه بأن «الإمام الحسين هو لكل المسلمين وليس للشيعة فقط. إنه يستطيع أن يخدم في توحيد المسلمين في وجه التحديات العالمية».

المفتاح أشار للسفير بأن بعض مساجد السنة، وتحديدًا تلك التي تتبع التفسير السلفي الأصولي، تقيم برامج للتركيز على الهوية السنّية خلال عاشوراء. ولمواجهة هذه الأعمال التي قد تكون مستفزة، شجّعت الوزارة السنة والشيعة على الانخراط خلال المناسبات الإسلامية. «لقد نظّم زيارات لرجال دين سنّة إلى ماتم خلال عاشوراء، ليظهروا التفهّم، وليقلّلوا من الريبة».

# 04

برقيّات السفارة الأمريكية 2007 و 2008:

عاشوراء البحريين...

الرغبة في التعبير عن الهوية الشيعية إلى الحد الأقصى!



فضلا عن عكس اهتمامها الشديد بمتابعة إحياء عاشوراء في البحرين، إلى تقارير سنوية، زار السفير الأمريكي السابق آدم إيرلي بنفسه احتفالات ذكرى عاشوراء في المنامة عام 2008، يصحبه مسئولون في السفارة، ضمن ما قالت برقية إنها كانت مهمة عمل الهدف منها تعزيز التواصل مع المجتمع الشيعي في البحرين!

في 1 فبراير/شباط 2007، بعثت السفارة الأمريكية ما يمكن أن يكون التقرير الثالث من نوعه، عن إحياء ذكرى عاشوراء في البحرين، منذ أن بدأت تولي اهتماما شديدا بالمناسبة في العام 2005. كان هذا التقرير موقعا من سوزان زيادة، نائبة السفير الأمريكي وقتها، والتي تشغل حاليا منصب الوكيل المساعد لوزير الخارجية الأمريكي.

وفي 27 يناير/كانون الثاني 2008، أرسلت السفارة الأمريكية تقريرها العاشورائي السنوي، موقعا من السفير السابق آدم إيرلي، الذي كان قد عيّن حديثا.

وفي الواقع، يمكن القول، إن لهجة هذه التقارير قد تغيّرت تجاه البحرينيين الشيعة منذ العام 2007، حتى لا نكاد نجد فروقا بين برقية العام 2007 وبرقية العام 2008!



## 250 ألف مشارك وتغطية تلفزيونية متواضعة

تقرير السفارة الأمريكية في 2007 رصد مشاركة ما بين 100-150 ألف شخص في المراسم الدينية التي تستذكر مقتل «الإمام الحسين، البطل والشهيد لدى الشيعة» حسب وصفه.

ولفت التقرير إلى أن عدد الكويتيين والسعوديين المشاركين في ذلك العام كان كبيراً، واصفاً ذلك بأنه مفاجئ، وقال إن هناك مائتاً يتبع الشيعة الذي ينحدرون من المنطقة الشرقية بالسعودية، ولفت إلى أن شيعة المناطق الأخرى لديهم الحرية في المشاركة بالأنشطة التي ينظمها أي مأتم بحريني.

أمّا برقية 2008 فقدّرت عدد المشاركين في المراسم الدينية بين 200-250 ألف شخص، مكررة الإشارة إلى أن عدداً كبيراً جاء من السعودية، الكويت، والإمارات.

من جهة أخرى، نقلت برقية 2007 عن مراقب مطلع أنّه قال إن تلفزيون البحرين خصص تغطية صغيرة للمواكب الدينية، وإنّه في الحد الأقصى عرضت



نشراته الإخبارية بعض مقاطع الفيديو لهذه المواقف. في حين أشارت البرقية إلى أن محطة «الزهران» الفضائية، التي تركّز على القضايا الشيعية الدينية، والتي يعود جزء من ملكيتها إلى بحرينيين، قدّمت تغطية بلا توقّف، لإحياء المناسبة في البحرين وكربلاء.

### لا عداء علني لأمريكا ولا صور للقادة الإيرانيين

في سياق آخر، قال تقرير 2007 إنه وعلى عكس السنوات الماضية، لم تنتشر في الشوارع صور القادة الإيرانيين السيد الخميني والسيد الخامنئي، ولا صورة قائد حزب الله السيد حسن نصر الله، لكنّه قال إن خطاب نصر الله بث بشكل مباشر عبر شاشة تلفزيون وضعت في أحد الشوارع.

وقال إن أغلب الأعلام واللافتات التي علّقت كانت تخص القادة الدينيين البحرينيين فقط.

ولفت التقرير إلى أن ما خلت منه المناسبة في ذلك العام أيضاً، هو المعادة العلنية للولايات المتحدة الأمريكية. وقال إن الخطباء تجنّبوا في الغالب

الانتقاد الصريح للولايات المتحدة، رغم أنه كان هناك الكثير من الحديث عن «عدو» غير محدّد.

أما تقرير 2008 فقد أشار إلى ما سمّاه نجاح المنظمين مجدّداً في تجنّب نشر صور القادة الإيرانيين أو قادة حزب الله، لكنّه قال إن بعض الصور الكبيرة للخميني شوهدت من قبل موظفي السفارة داخل عدد من المآتم، ولفت التقرير إلى أنّ الإعلاميين السنّة كانوا يشكّكون في ولاء الشيعة خلال السنوات الماضية بسبب هذه الصور.

## الشيخ عيسى قاسم في برقيات السفارة الأمريكية 2007 و2008

حتى نظرة السفارة إلى الشيخ عيسى قاسم، يبدو قد تغيّرت نوعاً ما في هذه البرقيات.

برقية 2007 نقلت أن «رجل الدين الشيعي الأبرز في البحرين، الشيخ عيسى قاسم»، أقسم في خطاب ألقاه في 29 يناير/كانون الثاني، بهذه المناسبة، إنه لن يقبل أبداً باضطهاد أي سنّي وإنّه سيقاقل إلى جانب السنّة لاستراجع حقوقهم المسروقة في أي مكان بالعالم. ونقل التقرير أن قاسم اشتكى من أن الانقسامات بين المسلمين تنتج من سياسات الولايات المتحدة وأوروبا.

أما برقية 2008 فقد أشارت إلى أن الشيخ عيسى قاسم «القائد الروحي للمجتمع الشيعي في البحرين»، قاد موكباً صامتاً لرجال الدين، كان من بينهم رئيس جمعية الوفاق الشيخ علي سلمان، وذكر بأن المتفرّجين الذين كانوا في الطريق التزموا الصمت حين شاهدوا الشيخ قاسم على رأس الموكب.





### السياسة في عاشوراء 2007 و2008

ولفت تقرير 2007 إلى قيام المجلس الإسلامي العلمائي وقتها بتوزيع نشرة تدعو إلى الوحدة الوطنية، والتفهم، بغض النظر عن الطائفة، في وقت تشهد فيه المنطقة توتر العلاقات الطائفية بشكل متزايد.

وفي قسم آخر من تقرير 2007، قالت السفارة إن أعضاء البرلمان الشيعة الذين انتخبوا حديثاً علّقوا لافتات في الشوارع، كفرصة للتواصل مجدداً مع الناخبين.

وأشارت البرقية إلى لافتة علّقت في أحد الشوارع تستذكر مقولة للإمام الحسين عن رفضه العيش تحت الظلم أو الاضطهاد، والتي فسّرت محلياً بأنها تعني وضع الشيعة كونهم يعيشون في ظل حكومة سنية، بحسب التقرير.

ولفتت البرقية كذلك إلى ما سمّته أبرز قضية محلية ضاغطة وقتئذ، وهي محاكمة اثنين من الناشطين الشيعة بسبب حيازتهم وتوزيعهم «مطبوعة غير قانونية»، قبيل الانتخابات، وهي كتاب الدكتور سعيد

الشهابي الذي يحث فيه على المقاطعة وعلى التشكيك في شرعية أسرة آل خليفة الحاكمة. وقال التقرير إن مؤيدي الناشطين رفعوا صورهم خلال مراسم عاشوراء، وقد أدانتهم المحكمة لاحقا وقضت بسجن أحدهم 6 أشهر والثاني سنة.

توقّعت السفارة بأن الأحياء والقرى الشيعية ستعود بعد المناسبة إلى سيطرة الشرطة وأجهزة الأمن الحكومية، كما توقّعت أن تظهر من جديد الاحتكاكات وسوء التفاهم بلا شك.

تقرير 2008 قال إن رجال دين شيعة، ورؤساء المآتم الذي ينظمون المراسم، عملوا بشكل كثيف مع السلطات ليقوا السياسة بعيدا عن المناسبة، حسب وصفه. لكنّه قال إن «السلطات البحرينية، وقادة المجتمع الشيعي، كانوا قلقين من قيام حركة حق، ذات العلاقة بأحداث العنف التي وقعت في الشارع ديسمبر الماضي، باستخدام المناسبة للتحريض على جولة جديدة من الاضطرابات والاحتجاجات على مقتل علي جاسم مكي».

ووثق التقرير قيام حركة حق بنصب ركن خارج مسجد الخواجة (الذي وصفه بأنه مركز المعارضة السياسية الشيعية من مدّة طويلة)، وكذلك قيامها بنصب مقرّات في 3 أماكن أخرى لجمع توقيعات على عريضة تنادي باستقالة رئيس الوزراء «وفي حين أن بعض الأشخاص كانوا يقفون للتوقيع، فإن الاستجابة تبدو متوسّطة في أحسن الأحوال»، مستنتجا في الختام بأن حركة حق لم تلق سوى تجاوب فاتر مع خطاباتها، حسب وصفه.

**«الحيدر» في برقيّات السفارة الأمريكية: أقل من 10% يؤيّدونه فقط**

برقية السفارة في 2007 روت بأن مجموعة تمثّل حسينية كويتية، قدّمت بشكل منفرد عرضا مخيفا، سار فيه حوالي 100 شخص وهم يحملون



السيوف، ويهتفون «حيدر، حيدر»، اللفظ الذي يطلقونه عند قيام أحدهم بجرح جبهة رأسه بالسيف، في إحياء رمزي لمقتل الإمام الحسين وقطع رأسه. وقال التقرير نقلا عن أحد المصادر أنه يؤكد بأن أقل من 10% من البحرينيين الشيعة يؤيدون ممارسة «الحيدر».

القسم الثالث من تقرير السفارة في 2008 كان تحت عنوان «حيدر! حيدر!»، وجاء فيه إنه من المحتمل أن أكثر ميزة سيئة الصيت لمواكب عاشوراء هي «التطبير»، وذكر أن هذه الممارسة تصبح أقل شيوعا، إذ إن رجال الدين الرئيسيين يستنكرونها كل سنة، ويحثون الشيعة على التبرّع بالدم بدلا من ذلك. وفي هذا السياق، لم يغفل التقرير أن يشير إلى أن الآلاف من البحرينيين استجابوا هذه السنة وشاركوا في حملات التبرّع بالدم في مستشفيات محلية.

«مع ذلك، لا يزال عدد قليل من المآتم يمارسون التطبير، بميل شديد، يظهرون فيه الرجولة بمقدار ما يظهرون فيه الإخلاص للإمام الحسين»، وأورد التقرير مشاهدات موظفي السفارة بهذا الخصوص، وقال إنهم رأوا مجموعات تضرب

نفسها بالسيوف وهي تهتف «حيدر! حيدر!» على وقع قرع الطبول، وعلى وقع قصائد كان يتلوها رجل دين عراقي متخصص، حسب وصفه.

## الاختلاط بين الجنسين

وكان من اللافت أن التقرير أشار إلى قيام متطوعين بعزل مساحات من الأرصفة للنساء، لكنّه قال إن ذلك لم يردع المراهقين والعشرينيين، الذين ينظرون إلى التجمّع على أنه فرصة لكي يشاهدون، ويشاهدون، حسب وصف السفارة.

وقال التقرير نقلا عن [مصادر] إن الشبان الشيعة يستخدمون احتفالات عاشوراء للاختلاط مع الجنس الآخر، ونقل عن أحد مراقبي السفارة أنّه رأى مراهقا يرمي ورقة صغيرة يعتقد أن فيها رقم هاتفه النقال إلى مجموعة من 4 فتيات، اللواتي ضحكن وابتعدن.

في تقرير 2007، قالت البرقية نقلا عن أحدهم، إن أهم عمل لدى المنظمين المتطوعين هو أن يضمنوا أن لا يتحرّش الرجال المشاكسون بأي امرأة تحضر هناك.

## الهوية الشيعية

ومجددا لفتت البرقيتان في 2007 و2008 إلى أن الشرطة البحرينية ورغم تطويقها منطقة العزاء لضبط حركة مرور السيارات، بقيت خارج محيطها، وأن التنظيم كان بأكمله بيد متطوعين شيعة.

رأت السفارة في 2007 إن البحرينيين الشيعة خلقوا صورة حميدة لإحياء ذكرى عاشوراء بشكل مقصود، مرجّحين أنّها ربما كانت محاولة لأن يثبتوا للحكومة والسلطات الأمنية بأنهم يستحقون القيام بمسؤولية أكبر في المجتمع، وإنّهم مستعدّون لذلك.

في ختام تقرير 2008، عزت السفارة نجاح إحياء مناسبة عاشوراء في 2008 إلى قادة التيار الشيعي الرئيسي، وإلى انخفاض التواجد الأمني. وأكّدت أن المناسبة لم تشهد تظاهرات ولا عنف، وإن أكثر المشاركين بدوا راغبين في أن يتمتعوا بفرصة التعبير عن هويّتهم الشيعية إلى الحد الأقصى.

# 05

خطبة الخواجة في عاشوراء 2009:

«العصابة الحاكمة»

في برقيات ويكيلكس وكتاب جستن غينغلر



القائم بأعمال السفارة الأمريكية في البحرين، كريستوفر هنزل، أرسل من المنامة برقية إلى الخارجية الأمريكية في 13 يناير/كانون الثاني 2009، صنّفت سرّية، لكنّ ويكيليكس رفعت الغطاء عنها في 2010.

تناولت البرقية بقلق شديد واحدة من أهم الخطب السياسية في تاريخ عاشوراء البحرين. خطبة أثيرة بقيت تداعياتها حتى اليوم، واهتم بها كثير من الباحثين والأكاديميين وعكفوا على تفكيك بنيتها وتحليل سياقها السياسي والاجتماعي.

أكثر ما أثار أحد الباحثين في الخطبة، وهو المحلل السياسي المختص بشئون البحرين، جستن غينلغر، أن الخطيب لم يكن رجل دين. إنّما حقوقي، يقضي الآن عقوبة بالسجن المؤبد، لدوره في ثورة 14 فبراير/شباط 2011.

### عبد الهادي الخواجة: خطيب عاشوراء المنامة 2009

إن تكن خطبة عبد الهادي الخواجة ليلة عاشوراء في المنامة 7 يناير/كانون الثاني 2009، تعبّر عن ذروة مشاعر الإحباط والأسى والقهر السياسي، فهي لا شك كانت أحد أهم أدوات التعبئة والتشديد التي استخدمتها حركة حق بزعامة الأستاذ حسن مشيمع، لاستنهاض الشارع والتمهيد (غير المبرمج) لثورة 14 فبراير.



كانت شخصية الخواجة مثيرة للجدل منذ رجوعه للبلاد بداية ما عرف بالمشروع الإصلاحى (2001)، لم يكن حقوقياً رتبياً، فقد عرف بحس ثوري جريء لا يتعب من مواجهة الظلم والقهر والاستبداد، وأثبت التاريخ أنه لا يخشى أي تبعات.

صارت شخصية الخواجة الجماهيرية مثيرة للخوف أكثر من أي وقت مضى، منذ هذه الخطبة، التي استغل فيها حسّه الديني الرفيع، ليقوم في الناس خطيباً ليلة «عاشوراء». كان حديثاً غاضباً صارخاً عن قيمة التضحية في عاشوراء، والوقوف في وجه الظالم عند الإمام الحسين.

شاءت الصدفة أن يكون الكاتب والباحث الأكاديمي جستن غينلغر، في البحرين، وقت موسم عاشوراء هذا. حضر غينلغر خطبة الخواجة بنفسه، وأفرد لها صفحات طويلة في فصل «الدين والسياسة في البحرين» ضمن رسالته للدكتوراه «صراع الجماعات والتعبئة السياسية في البحرين والخليج»\*

قام غينلغر بترجمة الخطاب كاملاً بما فيه القصيدة الحسينية التي ألقاها





الخواجة. سرد وقائع الخطبة بشكل موثّق، كما اهتم بتحليلها في إطار بحث تأثيرات الدين على السياسة، ليضعها في سياقها السياسي والاجتماعي والتاريخي.

### خطبة الخواجة في كتاب جستن غينغلر

يدرك غينغلر بشكل حاذق إن منتصف ليل عاشوراء، في المنامة، هما أفضل وقت ومكان لأولئك الراغبين في الإدلاء بتصريح سياسي فاعل، خصوصا أن هذا الوقت يأتي بعد نهاية مجالس البكاء والنحيب على الإمام الحسين، كما أنّه أنسب وقت لخطاب مخيف وغازب.

«منذ أواسط التسعينيات، كان من المستغرب أن لا يُعتَقَل ناشط سياسي واحد على الأقل على خلفية خطاب حماسي مناهض للحكومة في ذروة عاشوراء وشهر مُحَرَّم بأكمله».

يشير الكتاب أيضا إلى سُرّية الخطيب الذي سيتولّى كلمة عاشوراء في زاوية حركة حق عند مسجد الخواجة في المنامة. وصل الخواجة الساعة 2:30 فجرا، وقدّر غينغلر عدد الحضور بألف شخص.

«لا يدّعي الخواجة امتلاك سلطة دينية، وشعبيته البارزة هي بشكل أساسي نتيجة لدوره الأساسي المعروف جيداً مع مركز البحرين لحقوق الإنسان وأكثر من ذلك أيضاً، لتهجمه اللفظي المستفز في العام 2004 على الأمير خليفة بن سلمان»

استناداً إلى مخزونه السياسي لا الدّيني، كان الخواجة بحسب غينغلر قادراً مع ذلك على أن يتحصّل على جمهور عام مثل هذا الذي اجتمع في تلك الليلة الباردة جداً للاستماع إلى كلامه.

### العصابة الحاكمة

حمل خطاب الخواجة عنوان «تضحيات الحسين تفضح العصابة الحاكمة وتسقطها من الحكم»، وبدأ باستحضار استشهاد الحسين، وذكرى واقعة عاشوراء.

ثم ذهب لإسقاط قضية عاشوراء على الواقع الراهن «حين جاءت الأوامر من يزيد بن معاوية، إلى واليه على المدينة المنورة بأن يأخذ البيعة من الحسين أو يقطع رأسه، أعلن الحسين العصيان السياسي ورفض المبايعة، وهياً نفسه للتضحية بنفسه وأهل بيته». وقال الخواجة «إنّ هذا التّحدي السياسي لم يكن يستهدف شخص الحاكم الأموي يزيد، بل كان يستهدف النظام الأموي برمته. فهو حين خاطب جيش العدو ناداهم بالقول: يا شيعة آل سفيان.. ولم يقل يا شيعة يزيد» ووفقاً لذلك، ختم المقدّمة بالقول إن «نتيجة تضحيات الحسين في واقعة كربلاء كانت سقوط نظام الحكم الأموي، حيث لم يُعمر هذا النظام أكثر من تسعين عاماً، كانت تموج بالثورات التي تمخضت عن حركة الحسين».

«في هذه المناسبة العظيمة»، توجه بندائه إلى «كل حر من أي طائفة أو مذهب، من أي طبقة اجتماعية، غنياً كان أو فقيراً»، وطالبهم جميعاً كما

طالب نفسه بـ «الوقوف صفًا واحدًا لطلب الإصلاح ونصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تيمناً بالحسين».

طالب الخواجة الناس «فك الارتباط النفسي بنظام الحكم الظالم، ورفض مبايعته وعدم الإقرار له بالحكم على رقاب الناس، ما دام يغدر، ويخلف الوعود، ويستأثر بالفيء ويذل الناس، ويستعين بالمرتزقة من كل مكان، ليفرض نفسه على رقاب العباد».

### من هم شيعة الحسين؟ ومن هم اليزيديون؟

المقطع الثاني من الخطاب، الذي يحمل عنوان «الاصطفاف المذهبي والاصطفاف السياسي»، يُحذّر المستمعين من الافتراض بأنهم جزء من الحل، وأنهم مشاركون في حركة الحسين، فقط لأنهم صادف أن يكونوا شيعة. وقال «اعلموا بأن الشيعة في حركة الحسين هم من وقف معه وناصره ضد الظلم السياسي والاجتماعي، وليس كل من انتمى إلى أهل البيت تاريخيًا أو فقهياً أو نفسياً»

يرى غينغلر إن الخواجة استخدم ذات محتوى كلمة الشيخ عيسى قاسم التي أثارت جدلاً عن «معسكر الحسين ومعسكر يزيد». قال الخواجة إن «تمايز الناس في مجتمعنا اليوم إلى حسينيين ويزيديين، ليس على أساس المذهب الذي ورثوه من الآباء والأجداد... وإنما على أساس الموقف السياسي الاجتماعي المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتولي أهل الحق والخير، والتبرؤ من الظالمين وأهل المنكر».

ويضيف «يتمايز جميع هؤلاء وينكشف معدنهم عندما يستفحل الظلم وتنتهك الأعراض أو تسفك الدماء، فعندها إما أن يكون من شيعة الحسين بمواقفه وتضحياته، أو أن يكون من شيعة آل سفیان»

يرى الكاتب أن هذا التصريح هو نظرية الخطاب بأكمله.

## الدولة الأموية ودولة آل خليفة

انتقل عبد الهادي إلى الجزء الأطول والأكثر جوهرية في خطابه «العصابة الحاكمة وضرورة اقتلاعها من الحكم مهما كلف ذلك من جهد وتضحيات».

قياساً على السلالة الأموية الفاسدة، التي ينتقل فيها الحق بالحكم من من الأب إلى الابن، والتي نهبت الفياء والأراضي وجعلت مال الله (بعبارة أخرى الموارد الطبيعية) دولاً، واستعبدت الناس، سيساوي الخواجة كل هذا بـ «العصابة الحاكمة» الحالية أي آل خليفة الذين نهبوا البحرين والذين يدعون الحكم على الأساس ذاته أي الخلافة الوراثية.

قال الخواجة إن كلا من الدولتين «لم تكن تقوم على شخص واحد وإمّا على عصابة... تسيطر على العباد بالقهر»، ولذلك «خرج ابن بنت رسول الله خائفاً من المدينة ثم من مكة لأنه يرفض المبايعة السياسية ليزيد، ولا يجد ناصرًا ولا معينًا، ثم يُقتل وتُسبى النساء من أهل بيت النبي». وختم بأن مثل هذه الدولة «اختارت أن لا تقبل المهادنة والحلول الوسط، ولذلك لا ينفع فيها إلا الاقتلاع، فكانت تضحية الحسين بنفسه وعياله هي الوسيلة لاقتلاع تلك الدولة...».

ووصل أخيراً إلى ما كان المستمعون ينتظرونه طيلة تلك الليلة، حسب وصف جستن غينغلر، فأعلن أن «العصابة الحاكمة في البحرين تتمثل في «مجلس الدفاع الأعلى» الذي يتكون من أربعة عشر شخصاً من كبار العائلة الحاكمة، وهم الملك وولي العهد ورئيس الوزراء ووزير الديوان وغيرهم من كبار الوزراء والمسؤولين من الأسرة الحاكمة». وأضاف أنه ليس بينهم «أي من أبناء الوطن من السنة أو الشيعة، فهم لا يثقون بأحد سوى أنفسهم. ومنذ إنشاء هذا المجلس، تم فيه إقرار جميع المؤامرات التي دُبّرت ضد الشعب:

سرقة آل خليفة للأراضي وتوزيعها، تقرير البندر واستراتيجية التطهير الطائفي، استخدام عشرات آلاف المرتزقة الذين ينتهكون حرمة بيوتنا ومساجدنا... واستخدام التعذيب....

على هذا الأساس اتجه الخواجة إلى أنه «لا بد من أن يكون المطلب الرئيسي هو إسقاط هذه العصابة من الحكم بكل وسائل المقاومة المدنية السلمية، والاستعداد لبذل التضحية في سبيل ذلك، تماماً كما كانت نتيجة تضحية الحسين إسقاط العصابة الأموية من نظام الحكم». وأضاف أنه «نحن جيل الغضب والتضحية، ومن تضحيتنا سيأتي جيل يتحمل مسؤولية اختيار نظام الحكم الذي يناسبه، بعيداً عن الظلم والفساد والتمييز الطائفي».

### كفى بك ذلاً أن تعيش مرغماً

أنهى الخواجة خطابه الطويل بأبيات من الشعر. «حين طالب الحر بن يزيد الرياحي الحسين بأن يرجع من حيث أتى وإلا فإنه سيقتل، -تماماً كما قد نُقِلَ نحن، [المعارضون البحرينيون]، ردّ عليه الحسين قائلاً:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى  
إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً  
وواسى الرجال الصالحين بنفسه  
وفارق مذموماً وخالف مجرماً  
أقدم نفسي لا أريد بقاءها  
لتلقى خميساً في العراء عرماً  
فإن عشت لم ألم .. وإن متّ لم أذم  
كفى بك ذلاً أن تعيش مرغماً

حين قرأ البيت الثاني، قال الخواجة مجرم في القصر، في إشارة إلى الملك. أبيات الشعر التي قرأها الخواجة بصوت كل تأس ونعي، قوبلت بهتافات

«فلتسقط العصاة الحاكمة!» وبهتاف «الموت لآل خليفة!»، وإن كان بصوت أخف، حسبما يروي جستن غينغلر.

خطاب الخواجة هذا، على حد تعبير جستن، لم يبدُ بكل القياسات إلا نداء يدعو إلى إعداد العدة في وجه أسرة آل خليفة الحاكمة، بذات الصورة التي جاءت فيها ثورة الحسين، التي أدت إلى تلك الأحداث في العام 680 للميلاد.

في إطار نقدي، يقول غينغلر، إنه تكمن وراء هذه الصور الدينية والكلام الرنان، تعليمات أو صفات سياسية أكثر قياساً. ويرى بأن التّضحيات التي يتكلم عنها الخواجة تتعارض مع الثّبرة العامة للخطاب، المعتدلة والبراغماتية إلى حد بعيد.

ثم سيذهب للقول «يستطيع عبد الهادي الخواجة، بعد إمضائه حوالي عقدين تقريباً بين المنفى والسّجن، الوقوف في شوارع المنامة والمطالبة بالإطاحة بآل خليفة» بكل وسائل المقاومة المدنية وبالرّغبة بتقديم التّضحيات من أجل ذلك..»، حين يكون مثل هذا الشخص جاهزاً للقيام بهذه الخطوة مع علمه بأن الاعتقال والأذى الجسدي ليسا بعيدين على الأرجح، عندها يكون من الواضح أن «القمع» كمفسّر للسلوك السّياسي، يجب أن يقاس بمقابل قدرة الأفراد المجابهة على المعاناة وحتى تبني التّضحية من أجل قضية سياسية.

### مقابلة غينغلر مع عبد الهادي الخواجة: في نظام ديمقراطي لن يستطيع آل خليفة البقاء في السلطة

التقى جستن غينغلر، بعبد الهادي الخواجة بعد حوالي أربعة أشهر، أي بعد الإفراج عنه بعفو ملكي، إثر اعتقاله بُعيد خطبة عاشوراء هذه.

خلال المقابلة، سيُشدّد الخواجة بالفعل على هذه الحاجة لدى الشّيعية العاديين لتفادي الاستمالة السّياسية. قال الخواجة لغينغلر «في نظام ديمقراطي، لن يستطيع آل خليفة البقاء في السّلطة، وبالتالي فإن هدفهم هو الحيلولة دون نشوء هكذا نظام».

من المثير في هذا السياق، ما ذكره غينلغر في هامش الكتاب عن حادثة الإفراج عن الخواجة و178 ناشط آخر ضمن عفو ملكي في ذلك الوقت، إذ نقل عن أحد النواب السنّة (وهو عيسى أبو الفتح) قوله أنّ رئيس الوزراء شخصياً عارض هذه الخطوة، وكذلك السعودية، التي زارها خليفة في اليوم نفسه الذي سبق إصدار قرارات العفو. وقال أيضاً إن الملك السعودي أبدى عن امتعاضه المعلوم في رسالة إلى الملك حمد، ومن ثمّ أوقف بشكل مؤقت مرور حوالي 300 شاحنة مقطورة مُرسلة إلى البحرين على الجانب السعودي من الجسر!

### برقية ويكيليكس عاجلة وسريّة

إذا كان كلام جستين غينلغر عن خطبة الخواجة سيصدر في 2015 من منظور بحثي وأكاديمي، فإن ثمة منظور سياسي غربي سيتوقف عند خطبة الخواجة ويراهها بعين الأهمية بحيث يصدر خلال أسبوع تقريراً سياسياً عنها برسم الخارجية الأمريكية، ذلك كان موقف السفارة الأمريكية في البحرين، والتي أثبتت برقيات ويكيليكس أنّها تتابع عاشوراء البحرين بكثافة، وتصدر تقريراً سنوياً عنه، باعتباره موسماً حج سياسي بدرجة ما هو ديني.

في برقيته، قال القائم بأعمال السفارة الأمريكية في البحرين آنثذ، كريستوفر هنزل، إن الناشط عبد الهادي الخواجة دعا إلى الإطاحة بأسرة آل خليفة الحاكمة.

وفي فقرة تحت عنوان عصابة الأسرة الحاكمة»، قال التقرير إن حركة حق الشيعة المتطرّفة استغلت المواكب الكبيرة السنوية في عاشوراء في 6 يناير/ كانون الثاني في المدينة القديمة في المنامة للتّنديد بأسرة آل خليفة الحاكمة. ومع مرور مواكب عاشوراء في الطرقات الضيقة والمزدحمة، وُجّهت الخطابات من خلال مكبرات الصوت إلى مزيج كبير يضم آلاف الأنصار.

«زعيم حركة حق حسن المشيمع ندّد بـ «عصابة الـ 16» التي تحكم البحرين، وسمى الملك وولي العهد ورئيس الوزراء وآخرين من آل خليفة. المشيمع،

الذي لم يدعُ علناً للإطاحة بالحكومة، قال إنه على المعارضين أن يطلبوا من الحكومات الأجنبية والمنظمات الدولية غير الحكومية الدعم»

### أطيحوا بالعصاة الحاكمة

«عبد الهادي الخواجة.. تحدث أيضاً في جناح حق، وأفادت وسائل الإعلام أن الخواجة وصف الحكومة «بالعصاة الفاسدة والمستبدة» وقال إن «مطلبنا الأول هو الإطاحة بهم والتخلص منهم... علينا اقتلاع جذوره هذه العصاة».

وذكرت البرقية أجزاء من خطاب الخواجة «أشار الخواجة إلى معركة الإمام الحسين ضد الخليفة الأموي يزيد في نداء مستتر بالكاد موجه إلى شيعة البحرين للوقوف في وجه الحكومة السنية. وأنهى خطابه بتهديد: «لقد فقدوا أي فرصة بالسلام».

### تعليق السفارة: لماذا خطبة الخواجة؟

ذيلت السفارة برقيتها بتعليق، أشارت فيه إلى أن حركة حق تؤثر على الشباب الذين يشتبكون غالباً مع قوات مكافحة الشغب البحرينية، ويبدو أنها تتجه نحو نزاع مع الحكومة.

وقالت «قد يكون خطاب الخواجة في 6 يناير/كانون الثاني قد أُعد لاستفزاز للسلطات لتتحرك ضده، وهو تطور سيزيد من نسبة التعاطف مع حركة حق في المجتمع الشيعي. الحكومة قاومت حتى الآن (13 يناير) ضرورة احتجازه».

ختمت البرقية بالقول «جمعية الوفاق المعتدلة تظل أكثر شعبية من حركة حق في المجتمع الشيعي. وبهدف الحفاظ على مركزها، تحتاج الوفاق إلى إقناع الحكومة البحرينية بتقديم خدمات الإسكان والتوظيف وإجراءات ضد التمييز، هي ما يطالب به الشارع الشيعي»



## 06

ويكيليكس السفارة الأمريكية:

قصة المبعوث الإيراني إلى المنامة

وخطاب الشيخ عيسى قاسم في عاشوراء 2009



في موسم عاشوراء الأول عام 2009\* (يناير/كانون الثاني 2009)، أرسلت السفارة الأمريكية في المنامة إلى الخارجية برقيتين، إحداهما عن خطبة الخواجة، والأخرى عن خطاب عاشوراء المركزي للزعيم الديني الأعلى، آية الله الشيخ عيسى قاسم.

انظر: خطبة الخواجة في عاشوراء 2009: «العصابة الحاكمة» في برقيات ويكيليكس وكتاب جستن غينغلر «5»

ولأن أحد أهم محدّدات المزاج السياسي الشيعي هو خطاب عاشوراء، ظلّت السفارة الأمريكية على ذات النسق من متابعة إحياء الذكرى، وخطابها المركزي على وجه الخصوص.

وفي حين أفردت السفارة برقية منفصلة لخطبة الناشط عبد الهادي الخواجة بالمنامة، جاءت البرقية الأولى عن خطاب عاشوراء المركزي، للشيخ عيسى قاسم، والذي احتوى هجوماً على حكومة البحرين بسبب علاقاتها مع الولايات المتحدة، وهجوماً على السياسة الأمريكية بسبب موقفها من الحرب على غزّة (2008-2009).

تداعيات هذا الخطاب كانت مثيرة للجدل، إذ انتهت ببرقيات أمريكية أخرى



ذات صلة، تتحدّث بريية عن مبعوث إيراني للبحرين بعد دعوة الملك إلى عقد قمة طارئة عن حرب غزة.

لقد كانت السفارة الأمريكية في المنامة قلقة من تعاون بحريني إيراني، ما اضطر الخارجية البحرينية لأن تجاهد في نفي هذا الاتهام، وتبرئة الملك من أي تنسيق مع إيران!

### **برقية: رجل الدين الأعلى يضرب في العلاقات البحرينية الأمريكية بسبب حرب غزة ومضالم الشيعة**

برقية السفارة الأمريكية عن عاشوراء في 8 يناير/كانون الثاني 2009، والموقعة من القائم بأعمال السفارة ، كريستوفر هنزل، كان موضوعها الرئيس خطاب الشيخ عيسى قاسم في عاشوراء. حدّثت البرقية مما ورد فيه من «هجوم» على السياسة الأمريكية، وسياسة الحكومة البحرينية في علاقتها مع واشنطن.

تعكس البرقية كيف كانت الدبلوماسية الأمريكية تنظر بقلق إلى خطب الشيخ

عيسى قاسم، من زاوية دورها كمصدر رئيس للتحفيز والتشديد السياسي في البحرين، سواء على صعيد القضايا المحلية أو الدولية.

تذكر البرقية إن رجل الدين الشيعي الأعلى قال ضمنيا إن حكومة البحرين باعت نفسها على الولايات المتحدة الأمريكية، مشيرة إلى أن مسؤولا رسميا عبّر عن خوفه من ردود فعل شعبية على ما يحدث في غزة عقب هذه الخطبة، وطالب الولايات المتحدة بالضغط على إسرائيل لحماية المدنيين بشكل أفضل.

وتحت فقرة بعنوان «رجل الدين الأعلى يضرب في العلاقات البحرينية الأمريكية»، قالت البرقية إن الشيخ عيسى قاسم، أشهر رجل دين شيعي في البحرين، قال في خطبة السابع من يناير/كانون الثاني 2009، إن صمت أغلب الحكومات العربية عن غزة يعد اشتراكا مع إسرائيل وأمريكا، وإن بعض الحكومات العربية باعت نفسها بقبولها الحماية الأمريكية في مقابل الصمت. البرقية أشارت إلى أن الخطبة غطيت في الصحف المحلية ومواقع الإنترنت، واعتبرت على نطاق واسع بأنها اجتازت خطا أحمر بانتقادها العلاقات الأمنية بين البحرين والولايات المتحدة.

### غزة، كربلاء، ومظالم البحرينيين الشيعة

وفي تفسير غريب، قالت السفارة إن «هجوم قاسم عكس غضبا صادقا في ردة فعل على أحداث غزة، ولكنه قصد أيضا وضع ضغط على حكومة البحرين لمعالجة مظالم البحرينيين الشيعة».

وعن إحياء الذكرى، قالت البرقية إن مواكب عاشوراء الكبيرة كانت محافظة على النظام، لكنّ عدة خطب تخلّلتها لقادة متشددين شيعة، ساوت بين معاناة أهل غزة وقصة المعاناة الشيعية (قصة كربلاء)، وانتقدت الحكومة البحرينية على قضايا محلية.

كما كان هناك عدة مظاهرات صغيرة غير مرخصة في وقت متأخر من 8 يناير/كانون الثاني، في مناطق تسكنها غالبية شيعية، في حين انطلقت دعوات سنية وشيعية للتظاهر يوم الجمعة احتجاجا على ما يجري في غزة.

وكانت برقية سابقة قد توقّعت أن تكون هناك فرصة لتصاعد التظاهرات المناوئة لإسرائيل والغرب خلال موسم عاشوراء، مشيرة إلى أن تظاهرات السنة كانت منفصلة عن الشيعية.

وكانت لجنة تابعة للسفارة تحت مسمى لجنة أعمال الطوارئ، قد عقدت اجتماعا لبحث تأثير ردود الفعل المحليّة هذه على الأمن.

### عبدالعزیز آل خليفة للسفارة: قادة البلاد يخشون من ردة فعل الشارع

وفي سلوك يبدو روتينيا، تبادل المسؤولون الحكوميون الاتصالات مع السفارة الأمريكية لمناقشة التطورات. ونقلت البرقية أن وكيل الخارجية البحرينية عبدالعزيز بن مبارك آل خليفة، أبلغ القائم بأعمال السفارة الأمريكية أن الحكومة البحرينية مصدومة من درجة معاناة المدنيين في غزة. وقال إن قادة البحرين يخشون من ردة فعل الشارع هنا.

وقال المسئول البحريني إنه بسبب ذلك، عقد الملك حمد في وقت لاحق من ذلك اليوم اجتماعا غير عادي لمجلس الوزراء، من أجل إظهار معارضة البحرين للأفعال الإسرائيلية في غزة بشكل أكبر، حسب قوله.

وفي رد فعل رسمي يبدو محاكيا أو مسائرا لغضب الشارع و(لما أثارته خطبة الشيخ عيسى قاسم)، طلب وكيل الخارجية البحرينية من القائم بأعمال السفارة الأمريكية، أن تقوم الحكومة الأمريكية بحث إسرائيل على ممارسة ضبط النفس، الطلب الذي وعد الدبلوماسي الأمريكي بنقله إلى واشنطن!



ولكن عبد العزيز آل خليفة شدّد في المقابل على أن البحرين تدعم بالكامل طريقة مصر في التعامل مع غزّة، وتقف خلفها!

### **الملك يدعو إلى قَمّة طارئة والسفارة الأمريكية: محاولة للتقليل من الغضب الشعبي على الحكومة**

السفارة الأمريكية كانت تتابع عن كثب مواقف حكومة البحرين مما يجري في الأراضي المحتلة، وفي برقية سابقة وصفت هذه المواقف بأن الحكومة البحرينية تدين إسرائيل بأشدّ الألفاظ علنا، لكنها أكثر حذرا وبراغماتية في نقاشاتها الخاصة مع الدبلوماسيين، وكانت تأمل أن تنجح الجهود الدبلوماسية في تقليل التعاطف مع حركة حماس، وتقليل الضرر الواقع على الحكومات العربية المعتدلة التي تقف مع شارعها.

ونقلت في برقية أخرى أن الشارع والصحف استقبلت بشكل جيد مبادرات الحكومة للتبرع وتقديم المساعدات والدعم للشعب الفلسطيني، وعرضها

تقديم علاج مجاني للجرحى داخل البلاد، ونقلت أن حشودا من المتظاهرين أشادوا بالملك بينما أدانوا إسرائيل والولايات المتحدة ومصر.

في 9 يناير/كانون الثاني 2009، أصدر الملك حمد بيانا دعا فيه إلى عقد قمة عربية إسلامية لمعالجة الأوضاع في غزة، إن لم يكن ممكنا عقد قمة عربية. برقية أخرى من السفارة الأمريكية أشارت إلى هذا البيان، ووصفته بأنه محاولة للتقليل من الغضب الشعبي، وخصوصا في أوساط الغالبية الشيعية.

### مبعوث إيراني

في 11 يناير/كانون الثاني 2009، برقية من السفارة تصل الخارجية الأمريكية لتنقل توضيحات من الخارجية البحرينية حول زيارة مبعوث إيراني إلى البلاد، عقب دعوة الملك إلى عقد قمة إسلامية طارئة عن غزة.

تنقل البرقية أن المسؤولين (سعيد الفيحاني وعبد العزيز آل خليفة) نفيا أن البحرين تنسق مع إيران في هذا الخصوص، وأن الزيارة المنتظرة للمبعوث الإيراني ليست ذات صلة.

وتضيف أنهما وصفا مبادرة الملك بأنها لفتة من جانب واحد للتعبير عن قلق البحرين مما يجري في غزة، ولتهدئة الرأي العام المحلي.

تقول البرقية إن كلا المسؤولين «زعماء» أن البحرين لم تنسق مع أي حكومة أخرى ولا مع منظمة التعاون الإسلامي، قبل بيان الملك، في حين أعاد عبد العزيز آل خليفة التأكيد على أن الإيرانيين لم يبلغوا مقدما بفكرة القمة التي جاء بها الملك. فضلا عن ذلك، قال المسؤولان إنهما يظنان أن مقترح القمة الإسلامية لن يلاقي الكثير من الدعم.

وإحاقا بهذه المعلومات، تنقل البرقية الأمريكية أن السفارة الإيرانية في المنامة أعلنت أن مبعوثا من طهران سيزور البحرين والإمارات لتسليم رسائل حول





غزة إلى قادة البلدين، وإزاء سؤال حول ما إذا كانت هذه الرسائل ردا على دعوة الملك حمد إلى قمة إسلامية، قال المتحدث باسم السفارة أن إيران دائما تدعم مثل هذه القمم.

في ختام البرقية، تعلق السفارة الأمريكية بقولها إن «الحكومة البحرينية ربما هدفت من مقترح القمة الإسلامية أن تهدئ الرأي العام المحلي، لكنها قد تكون فتحت من غير قصد بابا لإيران».



## 07

آخر برقيات ويكيليكس..

السفارة الأمريكية عن خطاب مشيمع في عاشوراء 2009:  
كان أكثر انضباطا وعبر بوضوح عن احترام الملك



في برقية سرّبتها ويكيليكس، تعود إلى أكتوبر/تشرين الأول 2009، عن تأسيس «تيار الوفاء الإسلامي»، بزعامة الناشط المعتقل عبد الوهاب حسين، تقول السفارة الأمريكية في المنامة إن احتفالات عاشوراء التي تشهد احتشاد عشرات الآلاف من الشيعة بشكل مركزي في العاصمة المنامة، من أجل المواكب الدينية، قد تزوّدنا برؤية وتقدير لقوّة تيّار الوفاء، الذي قد يستخدم المناسبة الدينية ليثبت أنه الصوت الجديد للمجموعات الشيعية المهمشة، مثلما فعلت حركة حق في السنوات الماضية حين حاولت بشيء من النجاح تحويل المناسبة إلى حدث سياسي، حسب تعبير السفارة.

آخر تقرير عاشورائي عن البحرين من السفارة الأمريكية، تمكنت ويكيليكس من تسريته، هو ما جاء في البرقية رقم (09MANAMA741\_a)، عن موسم عاشوراء الثاني في 2009 (ديسمبر/كانون الأول). لم يظهر «تيار الوفاء» في عاشوراء كما توقعت السفارة، بل كانت حركة حق هي من ظل يظهر مصرا على البعد السياسي للمناسبة، وعلى صنع موقف سياسي مغاير لجمعية الوفاق، التيار الشيعي الرئيس في البحرين.

لكن خطاب حركة حق السياسي في عاشوراء هذه كان مختلف اللهجة. خفّف زعيم الحركة حسن مشيمع حدّته هذه المرة، بعد أن أثار في الذكرى



السابقة اعتقالات وأزمة سياسية. حتى السفارة الأمريكية وجدت التغيّر في خطاب مشيمع، لافتا.

هل شهد عاشوراء 2009 تحولا ممكنا في الخطاب السياسي لحركة حق، هل أثبت أنه ليس خطابا متصلبا ويمكن أن يكون خطابا تفاوضيا مرنا ومتغيّرا، هل أعطى أملا في أن تسلك الحركات السياسية المقاطعة للنظام خيارات أخرى غير الثورة التي هدّدت بها في الذكرى السابقة؟

لم تر السفارة الأمريكية ذلك، إلا أنها لفتت إلى أن مشيمع أبدى بوضوح احتراما للملك، ولم يسمّ رئيس الوزراء على قائمة زعماء الفساد في الحكومة، على خلاف خطاب العصابة الحاكمة!

**برقية ديسمبر 2009: كثرة من العمانيين ونساء أقل من الرجال**

أرسل التقرير المصنف بأنه وثيقة سرّية، إلى الخارجية الأمريكية، في 29 ديسمبر/كانون الأول، موقعا من السفير آدم إيرلي.

في الملخص، أشارت السفارة إلى أن قادة المجتمع (تأسيساً على التقاليد)، أكدوا على أن تتراجع السياسة في المناسبة، مفسحة المجال للطقوس الدينية.

وتحت عنوان «الشيعة يحيون ذكرى عاشوراء سلمياً» قُدِّرت الفقرة الأولى من التقرير الحشود المشاركة في مواكب المنامة (27-28 ديسمبر/ كانون الأول 2009) من 80-120 ألف شخص. أشارت البرقية أيضاً إلى مشاركة عدد من مواطني السعودية والكويت والإمارات وعمان وجنوب آسيا، لافتة بشكل خاص إلى أن أعداد العمانيين الشيعة المشاركين كانت أكبر من المعتاد خلال ذلك العام.

وحتى ذلك الوقت، وثق التقرير بأن الحضور الأمني الرسمي كان محدوداً بشرطة المرور، وأن حي المخارقة الذي تخرج فيه المواكب الرئيسية خلا من أي حضور أمني.

وضمن ملاحظات طاقم السفارة، قالت البرقية إن أعداد الرجال فاقت بشكل كبير أعداد النساء في الشوارع «الناس الحاضرات لبسن العباءات السوداء، ووشاح الرأس، والكثير اتخذن لباساً على طراز التشادور (الإيراني)، كما تقوقع العديد منهن في مساحات مخصصة، على طول مسار المواكب الرجالية، أو في شرفات بعض البيوت. مع ذلك شاهد موظفو السفارة مجموعات من النساء الأصغر، الواثقات من أنفسهن، يتحركن وسط الحشود».

### حشود أكبر ودم أقل

لفتت السفارة إلى أن الموسم تميز بحشود أكبر ودم أقل، في إشارة إلى تراجع طقوس ضرب القامة بالسيوف «التطبير». وقالت إن موظفيها

ومصادر أخرى أكدوا أن الشوارع بدت أكثر ازدحاما من الأعوام الماضية، وأن المواكب كانت منفصلة لكنها منظمة.

«أغلب المعزّين الذين كانوا يهتفون ضربوا صدورهم بقبضاتهم بخفة... وشاهد موظفو السفارة فقط القليل من المعزّين الذين أسالوا دماءهم خلال أكثر من 3 ساعات من سير المواكب، وهو تغير ملحوظ عن السنوات الماضية».

البرقية وضعت ملاحظة جانبية على هذه الفقرة قالت إن «القادة الدينيين الشيعة كانوا يثنون الناس على نحو متزايد عن ممارسة التطبير... وشجّعوا عوضا عن ذلك على المشاركة في حملات التبرع بالدم في ذكرى عاشوراء».

### صور خامنئي وخطاب نصر الله

وعودا على قصة اللافتات المحترقة برجال الدين في حزب الله وإيران، أشارت البرقية إلى أن ذلك كان شائعا في مواسم عاشوراء، ولكن منذ 2006، حين قررت جمعية الوفاق المشاركة في الانتخابات، صارت هذه اللافتات أقل بروزا.

ونقلت البرقية أنه كان هناك القليل من صور آية الله خامنئي والإمام الخميني داخل خيم تديرها مآتم. كما أشارت إلى أن خيمة الوفاق بثت خطاب زعيم حزب الله السيد حسن نصر الله بمناسبة ذكرى عاشوراء.

### حركة حق: خطاب أكثر انضباطا وتحذير من حرب أهلية

حول حركة حق، ذكر التقرير أنه بالرغم من أن هناك إجماع وسط التيار الشيعي الرئيس بأن مواكب عاشوراء في العاصمة المنامة يجب أن تبقى غير ميسّسة «نصبت حركة حق الشيعة المتشدّدة منصّة في



كل مواسم عاشوراء الماضية القليلة، مقابل مسجد الخواجة، الذي يمثل نقطة مركزية في احتفالات عاشوراء».

وقالت التقرير، إن حشدا صغيرا من حوالي 300 تجمّعوا هناك بعد منتصف الليلة، للاستماع إلى خطاب زعيم حركة حق حسن مشيمع. الكثيرون منهم كان يملأهم الفضول في أن يروا ما إذا كانت حق ستكرر خطابها في الذكرى السابقة (يناير/كانون الثاني 2009)، حين وصم مشيمع الملك بأنه رجل عصابات، ونادى أعضاء آخرون في حق بالثورة.

لكن السفارة قالت إن مشيمع بدا خلال هذا الحدث أكثر انضباطا، باستثناء أنه حدّر من من أن يؤدي التجنيس السياسي في نهاية المطاف إلى حرب أهلية، وقالت السفارة إنها تظن أن أغلب السّنة سيَتلقّى هذه الكلمة كتهديد أكثر من أن تكون تحذيرا.

البرقية ذكرت أن مشيمع عبّر في خطابه بوضوح عن احترامه للملك حمد، مستنكرا الفساد الحكومي بمفردات عامة فقط. وقالت إنه في هذا السياق لم يسمّ كما في السابق رئيس الوزراء، الذي يعتبر هدفا معتادا لمثل هذه الاتهامات.

وفي ملاحظة ختامية، قالت البرقية، إن حق ربما تكون ملهمة لبعض الشيعة بخطابها المتشدد في عاشوراء، لكننا نظن أنها تنفّر عنها أناسا أكثر يرون أنها تستغل عاشوراء للسياسة «أغلب البحرينيين الشيعة يثمنون تفاهما مع الحكومة يمكنهم من إحياء عاشوراء بشكل أوسع من أي مجتمع شيعي آخر في دول مجلس التعاون... شهدت السنوات الأخيرة، بما فيها هذه السنة، أسابيع من التخطيط والتعاون بين الحكومة والقادة الدينيين الشيعة

في التحضير لعاشوراء. وهكذا أنتج هذا التعاون احتفالا دينيا جماهيريا سلميا للشيعه من كل أنحاء المنطقة».

## 08

موسم الحزن الشيعي...

لماذا تراقب السفارة الأمريكية عاشوراء البحرين؟







مواكب عاشوراء في المنامة، مقابل المستشفى الأمريكي، أرشيف الإرسالية الأمريكية

كلمات الإمام الخميني عن عاشوراء أصبحت جزءاً من التراث الشيعي «كل ما لدينا من عاشوراء» و«عاشوراء... انتصار الدم على السيف».

تزامناً مع الثورة الإيرانية، شهد نوفمبر/تشرين الثاني 1979 ما عرف بـ«انتفاضة محرّم»، في القطيف والأحساء. أصر السعوديون الشيعة على إحياء شعائر عاشوراء علناً، وخرج الجماهير إلى الشارع، بهتافات سياسية مناوئة للتمييز والاضطهاد المذهبي. أخمدت الانتفاضة بمحاصرة القطيف، بعد أن دارت صدامات عنيفة بين المواطنين الشيعة والحرس الوطني السعودي، راح ضحيتها حوالي 20 قتيلاً، وعشرات الجرحى والمعتقلين.

### تظاهرات في عاشوراء 1979، صفوى، السعودية

وشهد العراق عام 1977 ما عرف بـ«انتفاضة صفر»، التي قاومت منع السلطات مسيرات المشي من النجف إلى كربلاء في ذكرى «الأربعين»، وانتهت نهاية دامية. تعتبر هذه التظاهرات من أبرز الحركات المناوئة لحزب البعث، وقد دعمها المرجع الديني الراحل محمد باقر الصدر.



تظاهرات في عاشوراء 1979، صفوى، السعودية



لبنانيون في النبطية يحرقون آلية عسكرية إسرائيلية خلال إحياء ذكرى عاشوراء 1983



وفي لبنان 1983، شهدت النبطية مواجهات تاريخية بين الشيعة والجيش الإسرائيلي، خلال إحياء ذكرى عاشوراء، أحرق فيها المتظاهرون آليات عسكرية إسرائيلية، وهاجموا عناصر الاحتلال بالسيوف.

لبنانيون في النبطية يحرقون آلية عسكرية إسرائيلية خلال إحياء ذكرى عاشوراء 1983

### ضريبة عاشوراء في البحرين: هيئة الاتحاد الوطني

البحرين، هي الدولة الخليجية الوحيدة التي تعتبر فيها ذكرى عاشوراء عطلة رسمية. أحياء السوق القديم في العاصمة المنامة، هي الموقع المركزي التاريخي لفعاليات عاشوراء، عشرات الألوف يحضرون إلى عاشوراء المنامة حتى من الدول المجاورة، ولذا تسمّى بـ«كربلاء الخليج».

لطالما اعتبرت البحرين مثالا متقدّما على الحرّيات الدينية للشيعة، لكن تاريخ اكتساب هذه الحرّيات، ووظيفتها السياسية، هو ما يثير الجدل. فقبل الإصلاحات الإدارية، ينقل المؤرّخون أن الحاكم كان يفرض ضريبة على



الشيعة لإحياء عاشوراء، بحسب ما يروي العالم اللبناني فؤاد خوري، في كتابه القبيلة والدولة.

وحتى قبل الثورة الإيرانية بعشرات السنوات، تحوّلت عاشوراء في البحرين تلقائياً إلى منبر سياسي ضد العائلة الحاكمة، وراعيها البريطاني، مع تراكم الظلم على الغالبية الشيعية. صارت البلاد دائماً في حالة ترقّب، وباتت المنامة وطقوسها، مبعث رهبة.

في الخمسينات، ورغم أن عاشوراء كانت سببا في اصطدامات وفتنة طائفية، إلا أنّها تحوّلت إلى سبب في نشوء أول كيان سياسي جمع بين الطائفتين. ورمزيا، عقد الاجتماع الأول لهيئة الاتحاد الوطني، في حسينية (مأتم) بن خميس. وهكذا صار هناك شبه إجماع بين السنّة والشيعة في ذلك الوقت، على أن تستغل عاشوراء سياسيا للنضال من أجل الحقوق والحريات، وكانت المفاجأة حين وقف شاعر ينتمي لأحد أهم القبائل السنيّة (عبد الرحمن المعاودة)، خلال أحد اجتماعات هيئة الاتحاد الوطني، ينعى الحسين في ذكرى الأربعين، ويستنهض الهمم لمواجهة الظلم والاستعمار تأسيا بالحسين!

كان ذلك نجاحا تاريخيا لعاشوراء البحرين. لم يستطع البحرينيون السنّة، المناهضون للاستعمار، مقاومة إغراء عاشوراء. هم كذلك لم يجدوا أفضل من منبر عاشوراء لتحقيق أغراضهم السياسية المناوئة للتسلّط البريطاني، بما تبعه عاشوراء من هياج وحماس وإثارة وتحشيد، سجّلها المستشار البريطاني السابق بلجريف بإعجاب في مذكراته، وتابعتها المراسلات الدبلوماسية البريطانية.

### انتفاضة التسعينات: المعارضة في قصيدة وقميص أسود

«منذ أواسط التسعينيات، كان من المستغرب أن لا يُعتَقَل ناشط سياسي واحد على الأقل على خلفية خطاب حماسي مناهض للحكومة في ذروة عاشوراء



وشهر مُحرَّم بأكمله»، يقول جستن غينغلر، في كتابه «صراع الجماعات والتعبئة السياسية في البحرين ودول الخليج».

خلال انتفاضة التسعينات، اعتقلت السلطات خطيب المنبر الحسيني الشيخ علي النجاس، ورغم أنه رجل لا يبصر، إلا أن أجهزة الأمن السرية قامت بتعذيبه حتّى الموت. كان السبب بالطبع، تجرّؤه المتكرّر على العائلة الحاكمة من على منبر الحسين.

تميّزت انتفاضة التسعينات في البحرين باستغلال كثيف لعاشوراء وأدواتها: منابر المآتم، والمواكب العزائية، في بث الخطابات السياسية المعارضة، والتحشيد ضد النظام الحاكم. زعيم الحركة آنئذ، الشيخ عبد الأمير الجمري، كان هو الآخر خطيب منبر مفوّه. إحدى رسائل الجمري وثّقت الدور المهم والممنهج لأدوات المنبر الحسيني، قال في الرسالة أسفا إن السلطات اعتقلت أغلب منشدي العزاء «الرواديد»، كان هؤلاء بمثابة «تويتر» اليوم: المحرّك الإعلامي الوحيد للمعارضة.

وطوال تاريخ البحرين الحديث والمعاصر كان أي «رادود» يطرح محتوى سياسي يتعرّض هو موكبهُ لملاحقة الأمن، ولذلك ظهر ما عرف بـ«موكب الشهيد» السريّ، الذي لا ينتمي لأي مؤسسة حسينية، ولا يعرف القائمون عليه، ولا يعلن لا عن مكان ولا زمان انطلاقه، وفيه تطلق الشعارات السياسية على أوجها.

في التسعينات لم تكتف قوات الأمن باقتحام المآتم والتعدي على مواكب العزاء لمجرد هتافات سياسية منوثة للنظام، بل استهدفت كل من يلبس القميص الأسود، من طلاب الجامعة على سبيل المثال.

### بعد 2001: السياسة من رحم عاشوراء

«بالنسبة لمراقب خارجي لإحياء ذكرى عاشوراء سنوياً، من الصعب معرفة ما إذا كانت المواكب التي لا تُعد ولا تحصى والمسرحيات المشحونة بالعاطفة والخطب، تروي المعركة مع الخليفة الأموي في العام 680م، أو تروي الصراع الحالي ضد سلالة آل خليفة» يستمر غينغلر في وصف مشاهداته لعاشوراء 2009، التي حضرها في البحرين.

موسم عاشوراء البحرين، الذي لا ينتهي يوم العاشر من المحرم، بل يمتد طيلة شهري محرم وصفر، ظل يشغل سياسياً حتى بعد الانفراجات السياسية وما عرف بالمشروع الإصلاحى، الذي دشّنه الملك حمد بن عيسى، عام 2001.

سنشهد مجدداً عودة «الروايد» والخطباء إلى توظيف المنبر والقصيدة الحسينية في خطابات سياسية مثيرة، عن الشأن المحلي والدولي. سنرى نقداً أدبياً لادّعاء لا يتوقّف للحكومة والوضع السياسى والقوانين الجديدة، كما سنرى تحشيداً عاطفياً للاصطفاف وراء الزعامات العليا، وكذلك حضوراً مباشراً لقضايا الأمة الكبرى وقتئذ: فلسطين والعراق.

هكذا، ومع مساحة علنية أكبر لممارسة الشعائر الدينية، ستبرز في هذه



المرحلة الصلاة المركزية وخطاب عاشوراء للشيخ عيسى قاسم في المنامة. كما ستخرج أيضا من رحم عاشوراء، الخطابات الأكثر تشدداً من جماعات المعارضة المنشقة عن جمعية الوفاق، بعد قبول الأخيرة الدخول في البرلمان.

في عاشوراء، ستنصب حركة حق، المنشقة عن الوفاق، والتي يتزعمها الناشط المعتقل حسن مشيمع، ركنا ومنصة في وسط المنامة، وفي المنامة أيضا ستنصب خيمة للجنة الشهداء وضحايا التعذيب. كانت عاشوراء بالنسبة لكلا الجهتين أهم منبر للتشديد السياسي وكسب الأنصار والتعاطف.

وفضلا عن ذلك، صارت الجمعيات السياسية اليسارية (تضم خليطا من علمانيين سنة وشيعة) تصدر بيانات سنوية بمناسبة عاشوراء. وهذه البيانات، بحسب الدكتور عبد الرحمن خليفة «كانت تزين الصفحة الرئيسية من نشرة الجماهير»، التي تصدرها جبهة التحرير الوطني البحرانية، وهي المنظمة التي أسسها اليساريون أنفسهم في الخمسينات.

من هنا، ستثير عاشوراء جدلا في كل عام، وستكون دائما محل ترقّب، ليس فقط من أجهزة الدولة، بل من السفارة الأمريكية أيضا.

### ويكيليكس عاشوراء: السفارة الأمريكية في مهمّة عمل

تجعلنا برقيات ويكيليكس واثقين من أن السفارات الأمريكية في العالم، حتى تلك التي ليس فيها محطة استخبارات، تعمل على الأرض من أجل جمع المعلومات وتحليلها. وفي مقابل طريقة رصد أجهزة المخابرات الحكومية ومتابعتها لإحياء الشيعة البحرينيين ذكرى عاشوراء، والتي لا تهدف سوى إلى الرقابة والمعاينة والضبط، تعمل السفارة الأمريكية في المنامة على جمع المعلومات عن عاشوراء سنويا للدراسة والتحليل من أجل تقديم صورة كاملة للإدارة الأمريكية، في شكل تقرير سري!

لماذا تكون برقيات السفارة الأمريكية عن عاشوراء البحرين سرّية؟ ما هو المهم والخطير في خطابات الشيخ عيسى قاسم، أو خطابات الأستاذ حسن مشيمع، أو عبد الهادي الخواجه، بالنسبة للدبلوماسية الأمريكية؟ ما السرّي في مراسم وطقوس إحياء ذكرى عاشوراء اجتماعيا ودينيا في البحرين، وفي الجدل الطائفي الذي تخلّفه أحيانا؟ هل هناك ثمة توجيهات أو قرارات أو ردود أفعال قد تأخذ بناء على هذه التقارير؟ أو أن هناك رّما حاجة لاستخدامها في خطط وتصوّرات استراتيجية للأمن والسياسة في المنطقة؟

لن تصل هذه البرقيات إلى الخارجية الأمريكية فقط، بل ستكون برسم القيادة الأمريكية المركزية في الخليج، وسترسل بالطبع إلى وكالات الاستخبارات، والمحلّين، والباحثين.

ستضع السفارة في برقياتها كل تفاصيل عاشوراء الدقيقة، في سياقها الديني والاجتماعي والسياسي. طريقة القراءة البعيدة عن الانفعال لعاشوراء البحرين

(حتى لو كان العلم الأمريكي فيها مرسوما على الأرض لتدوس عليه الأقدام)،  
تجعل من تقارير السفارة الأمريكية وثائق مهمة للتاريخ.

عاشوراء بالنسبة للسياسة الأمريكية يذكر بإلهامه العديد من الثورات  
وحركات المقاومة الشيعية في المنطقة، بدءاً من إيران، وليس انتهاء بלבنان.  
منذ ذلك الوقت، والسياسة الأمريكية تسأل نفسها دائماً، إلى أين يمكن أن  
ينتهي هذا الحماس الشيعي في عاشوراء في البحرين؟

تكشف هذه البرقيات، التي يبدو أنها أخذت تصبح مهمة سنوية بدءاً من  
2005، أن الدبلوماسية الأمريكية لا تنظر إلى عاشوراء كمنااسبة دينية تشهد  
احتفالات عابرة مرة كل عام. إنها تثبت أن عاشوراء، ترتبط بأمن الخليج،  
واستقرار أنظمة الحكم فيه، والأسطول الخامس، والجار الإيراني، والصورة  
الأمريكية في الذهن الشيعي.

في العام 2008 زار السفير الأمريكي السابق آدم إيرلي بنفسه احتفالات ذكرى  
عاشوراء في المنامة عام 2008، يصحبه مسئولون في السفارة، ضمن ما قالت  
برقية إنها كانت «مهمة عمل» الهدف منها تعزيز التواصل مع المجتمع  
الشيعي في البحرين!

هذا الاطلاع المكثف، ليس مزحة. هناك فريق ترسله السفارة سنوياً من  
موظفيها لمراقبة هذه الفعاليات ورصدها بدقة. فضلاً عن ذلك، تجري  
السفارة اتصالات بمعارفها من الشيعة للوقوف على معلومات أخرى.

على صعيد الداخل البحريني، تنظر السفارة إلى عاشوراء على أنها فرصة  
كبيرة لقياس حضور القوى السياسية، وتأثيرها، وتحديد المزاج السياسي العام،  
واتجاهاته. تقول البرقيات إن هذه الاحتفالات تزودها برؤية وتقدير لقوة  
التيارات والجماعات والأفكار.

## المستعمر البريطاني أيضا

وإذا كانت برقيات ويكيليكس قد أعطتنا تصوّرًا واضحًا للمدى الذي تتابع فيه السفارة الأمريكية في المنامة بكل جدية هذه التظاهرة المهمة، وإلى أي حد تأتي ضمن نقاشاتها حتى مع المسؤولين البحرينيين، فإن وثائق أخرى من الأرشيف البريطاني تثبت أن لندن كانت على ذات الدرجة من الارتياح والترقب وتقوم هي أيضا بواجب الرصد والمتابعة لاحتفالات عاشوراء.

تقول وثيقة إن المعتمد البريطاني غولت طلب في أغسطس/آب 1955 من الخارجية البريطانية توفير غطاء عسكري في الخليج وسعى لإقناع حاكم البحرين الشيخ سلمان بن حمد بإنزال عدد من القوات من المدمرة «فلامينجو» في قاعدة الجفير، كما طلب من المدمرة «لوخ لوموند» التوجه من الكويت إلى البحرين لمواجهة ما قد يحدث في ذروة عاشوراء، خوفا من اضطرابات وانفجار شعبي كبير، إثر تهديدات من هيئة الاتحاد الوطني بتنظيم مظاهرات، وإثر شائعات عن تنظيم إضراب، والتخطيط لمواجهات. تقول الوثيقة إن غولت كان يعتبر عاشوراء فترة صعبة تكون فيها المشاعر هائجة.

سنرى أيضا أن الأمريكيين، حتى قبل أن تكون لهم سفارة في البحرين، كانوا يحرصون على متابعة احتفالات عاشوراء، ولو من زاوية ثقافية. وتفتخر السفارة الأمريكية في الاحتفالات التي تقيمها بعرض صور نادرة ربما تكون الأقدم لمواكب عزاء التقطت قرب دار الإرسالية الأمريكية في العام 1908.

## لماذا لم تدرس السعودية عاشوراء؟

يرى جستن غينغلر إن لشخصيات وأحداث هذه الأيام التاريخية، قدرة على «استحضار ذكريات قوية عن الظلم السياسي عند إدخالها في الطقوس والتقاليد -حين توضع للاستخدام الجيد من قبل رؤاد السياسة ذوي الذكاء الحاد، الذين يتطلعون لحشد الجموع».

لدى عاشوراء قدرة على الشحن العاطفي والسياسي، وتمتلى شعائرها ومراسمها بالرمزية السياسية.

في صفحات طويلة أفردتها لمناقشة توظيف ذكرى عاشوراء سياسيا في البحرين، يقول غينغلر في تحليله «قد تشكل المبادئ الدينية أو السياسية دوافع لدى عدد من المواطنين بحيث يرغبون بالمخاطرة بحياتهم وأنفسهم من خلال الانخراط في نشاطات تحديًا للدولة» ويضيف «القمع كمفسر للسلوك السياسي، يجب أن يقاس في مقابل قدرة الخصم على المعاناة وحتى تبني التضحية من أجل قضية سياسية».

مع كل هذا الزخم الذي تأخذه ذكرى عاشوراء، وموسم الحزن الشيعي في شهري محرم وصفر من كل عام، إلا أننا لم نقرأ يوما عن قراءة سياسية غير منفعة لهذه التظاهرة وهذه الشعائر، من قبل مؤسسات الحكم في دول الخليج، أو المراكز البحثية والأكاديمية التابعة لها، رغم أنها تدخل عميقا في تكوين المواطن الشيعي، ورغم أنها أثبتت إمكانية الوصول بتأثيرها حتى على المنتمين لمذاهب ومدارس فكرية أخرى.

لماذا لم تدرس الأنظمة في السعودية والبحرين عاشوراء بعيدا عن الصراع الأيدولوجي؟ لماذا لم تحاول أن تفهم مواطنها الشيعي من باب عاشوراء؟ لماذا لم تفكر دول الخليج في تأثير عاشوراء على استمرار نظام الدولة الريعية، كما بين جستن غينغلر، وكما سرد فؤاد خوري، ولورنس لوير، وغيرهم؟ لماذا لم تحاول أن تستميل المواطن الشيعي وتستفيد من تكوينه للم شمل بدلا من التفرقة والتشكيك في ولاءه؟

ولماذا أيضا لم نر كتابا عن عاشوراء من زاوية سوسيولوجية أو إنثروبولوجية من أكاديمي في الخليج؟ لماذا يتعالى المثقف الخليجي على ظاهرة لا يفوتها صنّاع السياسة الأمريكية؟



عاشوراء في الخليج والبحرين، وطبقا لبرقيات السفارة الأمريكية، هي أضخم تجمع بشري، وهي أفضل مقياس لمحددات السلوك السياسي للمواطن الشيعي، وقد أثبتت عاشوراء أيضا أنها ببعدها الثقافي والتاريخي يمكن أن تتحوّل من باب لإثارة التصادم والصراع الطائفي والأيديولوجي، إلى باب للتنظيم السياسي المبني على قيم ومصالح مشتركة، حتى لو كانت أدواتها التضحية، كما رأينا في تأسيس هيئة الاتحاد الوطني.

مع أن السفارة الأمريكية شَبَّهت عاشوراء في مقاربة تصويرية باحتفالات الكريسمس، إلا أنه لا يوجد أي احتفال ديني ينافس عاشوراء في مدها وتأثيرها واستقطابها السياسي. عاشوراء البحرين تظل تهز الخليج حتى بعد 2011، وإذا كان جبل البرقيات التي سَرَّبَها ويكيلكيس عن السفارة الأمريكية انقطع مع نهاية العام 2009، فلا يوجد أدنى شك من أن هذه المهمة السنوية مستمرة.

